العدد الرابع

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع النيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٥

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
قرش
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ — فبراير سنة ١٩٥٤

مع الحركة الإسلامية

اعتقلت « المسلمون » حين اعتقلْت .

وكتبت إلى المسئولين من السجن أطلب « الإفراج » عنها ، وقلت لهم إنها « عمل خاص » ، وإن أسرة إدارتها التى تعمل فيها لا صلة لها فى عملها فى « المسلمون » بهيئة الإخوان ! وإن أعضاءها ، وأنا واحد منهم ، يكسبون عيشهم منها ، وإنه لا معنى لمصادرتها وفى البلاد رقابة مفروضة ! فلم يرد المسئولون ، ومضى أكثر من شهر شغلتنا فيه الخلوة الجميلة عن انتظار الرد ، إلى أن جاءنى فجأة مندوب المباحث يخبرنى أن الحكومة قد أذنت لـ « المسلمون » بالصدور ، وأن العدد الثالث الذى كان قد صودر أطلق سراحه ، وطلب منى اختيار من يشرف عليها ، فاخترت فضيلة الأستاذ البهى الخولى ، فلم يلبث أن اعتقل وجىء به إلينا . . . .

ولم يكن ذلك كل شىء ، فإن جميع الرسائل المسجلة الواردة من سائر الأقطار

العدد الرابع

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز ورئيس التحرير سعيد رمضان

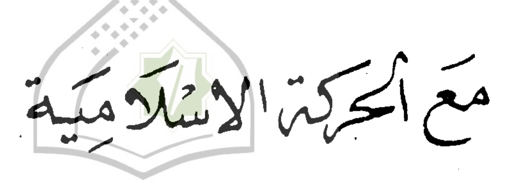
الإدارة :
٣٢ شارع النيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

مليم	
١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش	
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد

يضاف اليها أجرة البريد خارج القطر

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ — فبراير سنة ١٩٥٤



اعتقلت « المسلمون » حين اعتقلْت .

وكتبت إلى المسئولين من السجن أطلب « الإفراج » عنها ، وقلت لهم إنها « عمل خاص » ، وإن أسرة إدارتها التي تعمل فيها لا صلة لها في عملها في « المسلمون » بهيئة الإخوان ! وإن أعضاءها ، وأنا واحد منهم ، يكسبون عيشهم منها ، وإنه لا معنى لمصادرتها وفي البلاد رقابة مفروضة ! فلم يرد المسئولون ، ومضى أكثر من شهر شغلتنا فيه الخلوة الجميلة عن انتظار الرد ، إلى أن جاءني فجأة مندوب المباحث يخبرني أن الحكومة قد أذنت لـ « المسلمون » بالصدور ، وأن العدد الثالث الذي كان قد صودر أطلق سراحه ، وطلب مني اختيار من يشرف عليها ، فاخترت فضيلة الأستاذ البهي الخولي ، فلم يلبث أن اعتقل وجيء به إلينا . . . .

ولم يكن ذلك كل شيء ، فإن جميع الرسائل المسجلة الواردة من سائر الأقطار

لم تكن تصل إلى إدارة المجلة ، ومعنى ذلك أن ينقطع عنها أكثر المال ، وليس لها غير ما يصل إليها من أسرة المشتركين ؛ فكان طبيعيا أن يتأخر صدورها هذه الفتره الطويلة ، وكان هذا هو عذرنا أيها الأخ القارئ فى التأخير ؛ ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

* * *

والحق أنى لم أعجب مما أصاب « المسلمون » بل كنت أعجب ألا يكون ، فإن المتتبع للحركة الإسلامية فى أنحاء الوطن الإسلامى الكبير ، يراها جميعا — بحكم رسالتها والظروف المحيطة بها — تسير فى فلك واحد لا ممدى لها عنه ، وهى تدرك رشدها بقدر ما تدرك ذلك عن نفسها وتلتزمه ، ولست أعنى بالتزامها له أن تتخذ مظهرا واحداً فى كل مكان ، أو مدخلا واحداً إلى الهدف الواحد ، فلا بأس أن تختلف المظاهر وتتعدد المداخل ما استبانت وحدة هذا الهدف ، على أن يفهم الجميع أنهم مع الشر فى معركة واحدة ، قد تختلف آجالها . . . ولكن لا تختلف أبدا طبيعتها ولا مصيرها .

* * *

إن الحركة الإسلامية اليوم فى مدّها . . . ولا بد أن تبلغ الشاطئ ! والذين يقفون فى طريقها سوف يدفعهم مَوْجها مع الزبد ، أو تهوى بهم مواقفهم إلى القاع !

وإن القوى التى تملكها هذه الحركة اليوم قوى من شأنها أن تخط فى التاريخ خطا جديداً غداً أو بعد غد . . . .

إن من قواها روعة الرسالة التى تحملها . . . فهى تحمل رسالة الإسلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهى بذلك تجد طريقها إلى القلوب والعقول باسم الله ، ولئن تراءت ألوان الفساد الذى غشى الناس

فى كل ناحية . إن طوية هذه الأمة لا يزال يملأها الحنين إلى الإسلام ، والأسف على ما فرطت ، وإن كلمة الله لا تزال أبدا — حين تصدر خالصة — أقوى فى النفوس من رنين القرش ومن كأس الخمر ومن عبث الشهوة ومن كل زخارف الهوى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » !

ومن قوى الحركة الإسلامية هذا العدد الكبير من الشباب الذى اجتمع عليها فى كل مكان ، وأعطاها من ذات نفسه من أول يوم ؛ ففطم بها نفسه عن شهواتها ، وبذل لها من ماله ووقته وجهده ودمه ، ولم تعد تزيده الأيام إلا رشداً وصفاء ، ولا تتابع الحوادث إلا عزماً وإصراراً . . . .



ومن قواها هذا القلق النفسى الذى تعانيه شعوبنا ، والسأم الذى أصبحت تجده من الجعجعة والهراء ، والإحساس بأزمة الأخلاق التى هى حقيقة الداء فى كل ما تعانيه ، وكل ذلك يجعلها تتحسس طريقاً آخر تسكن نفوسها إليه ، وتقدم فيه على تجربة من نوع جديد !

ومن قواها « قضية فلسطين » التى أصبح يحس بخطرها المسلمون جميعاً ، وهم إنما يربطهم بها رباط العقيدة حول المسجد الأقصى المبارك ، وهم يعلمون أن هذه القضية لن تحل إلا بقوة ترد السلاح بالسلاح ، والعدوان بالنار . . . . وأن هذه المعركة قادمة لا شك فيها ، وأن المسلمين يجب أن يستنفروا لها باسم العقيدة لإنقاذ بيت المقدس واسترداد الوطن المغصوب ، وهكذا يحس المسلمون من قريب بحاجتهم إلى العقيدة فى قضية سياسية ، أو فى معركة حربية ، وهو إحساس لن يلبث أن يبلغ رشده ، ويصبح إدراكاً واضحا أن العدوان

فى حقيقته عدوان على العقيدة ، وأن تألب القوى التى تظاهرت فى قضية فلسطين ، هو تألب على أمة الإسلام !

وبعد ، فإن من وراء هذه القوى جميعاً ومن فوقها ، قوة الله الذى يحكم كل شىء :

« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يُعجزون » .

سعيد رمضان



كلمـــات

اذكر مع كل نعمةٍ زوالها ، ومع كل بليةٍ كشفها ؛ فإن ذلك أبقى للنعمة ، وأسلم من البطر ، وأقرب من الفرج .

***

الدنيا دار تجارة ، فالويل لمن تزود منها الخسارة .

***

من يخلُ قلبه من مخافة خالقه لا يزال من أكثر خلائقه مرعوباً .

العلوم والسنن الالهية

لأبي نعمان المهاجر

(٤)

فى المقال السابق ذكرنا أن لمشيئة الله فى هذا العالم مظهرين ، هما : قانون الشريعة وقانون الطبيعة ، وأخذنا فى تفصيل بعض مزايا الشريعة المنزلة ، وذكرنا منها يقظة المواهب الروحية والعقلية والعاطفية، وتبين لنا أن هذه اليقظة عنصر هام من عناصر الحياة الإنسانية لا تستغنى عنها بأية حال من الأحوال ، وأن الذين كفروا بالله اضطروا أن يزيفوا لهم آلهة باطلة يجعلونها هدفاً لإيمانهم وموضوعاً لعقيدتهم ، ومثلاً أعلى يتجهون إليه ويتفانون فيه ، وتستيقظ مواهبهم الإنسانية بقوة تأثيره ، ثم هم فى كل أطوارهم خرافيون سواء كانوا فى عهد الوثنية أيام كانوا يؤلِّهون الأحجار والأشجار ، ويقدِّسونها ويكبرونها وينسبون المعجزات إليها ، أم فى عصر الوطنية يوم اندفع كل شعب من الشعوب إلى تقديس الأرض التى يعيش فيها ، والمبالغة فى تعظيمها وإجلالها ، والخضوع لكل رمزٍ من رموزها مهما كان تافهاً ، إلى حد العبادة !

وليس الفرق بين تأليه الحجر وتأليه الأرض إلا فرقاً اعتبارياً يتناول الغاية من التأليه ، ولا يتناول التأليه بالذات ، فإن حقيقته واحدة فى الحالين معاً ؛ فالغاية من تأليه الحجر هى الشفاعة عند الله والإنقاذ من غضبه وعقابه ، وهى غاية خرافية لأن الأحجار لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ، وهى لذلك لا تملك القدرة على الشفاعة .

والغاية من تأليه الأرض وتقديسها هى أن تكون سببا فى إسعاد بنيها ، والترفيه عليهم وإنقاذهم من عدوان أبناء الأوطان الأخرى ، وقد أثبتت التجارب البشرية فى عصر الحروب العالمية الكبرى أن هذه أيضاً غاية خرافية ؛ فإن الأرض الخاضعة لشعب من الشعوب لا تستطيع أن تهب السعادة الحقيقية الكاملة لأبنائها القاطنين فيها باعتبارها أرضاً منفردة ممتازة مقدسة ، بل لقد كان الواقع عكس ذلك تماماً ،

فإن الأنانية الوطنية هى التى جاءت بالاستعمار ، وأثارت الخصومات بين الأمم ، وأشعلت نيران الحروب ، وتركت الشعوب الإنسانية قاطبة تعانى أقسى ضروب الشقاء والتعاسة والحرمان .

وهاهى الشعوب التى كانت تدعى السيادة على الجميع بما فى وطنها من الخصائص الممتازة تضطر تحت ضغط الواقع المر أن تتوسع — ولو كذبا — فى معانى الوطنية ، وأن تتسامح فى مقتضيات العنصرية العرقية ؛ لأن منطق الوعى العالمى ونمو الوجدان الإنسانى أخذ يملى نفسه على العالم فى شكل حروب مدمرة طاحنة .

ونحن لانزعم أن الشعوب التى أخذت تتجمع وتتكتل فى الشرق والغرب وتنادى بالعالمية الإنسانية هى شعوب مؤمنة بهذه الفكرة الجديدة ، ناضجة فى فهمها ووعيها ، مخلصة فى تطبيقها ، بريئة فى أنانيتها الوطنية العرقية — لانزعم ذلك لأنا نعلم أن البواعث الأساسية لهذه التكتلات العالمية هى فى الواقع بواعث وطنية أرغمت إرغاماً على أن تظهر بهذا الشكل العالمى الواسع ، ولكنا نريد أن نبرهن أن نظرية التقديس لوطن معين قد أخذت تضمحل وتزول ، وأخذ المتعصبون لها يخجلون من هذا التعصب ويتسترون به ! .

***

ومن المحتمل أن أطوار الإنسانية القادمة سوف تأتى بأجيال أشد بُعداً عن الأنانية الوطنية ، وأقل تعصباً من هذه الأجيال ، ولابد لها حينئذٍ من أن تستبدل بمثلها الوطنية مُثُلاً إنسانية شاملة .

ومع ذلك فإنا نرى أن الفكرة العالمية لايمكن أن تستقر فى الأذهان أو تنضج أو تدوم إلا إذا ارتبطت بالفكرة الإلهية الخالدة ، التى ترتفع بمستوى نفوس البشر فوق مقتضيات الواقع ، وفوق المنافع والأغراض . ذلك أنه وإن كانت هناك دوافع قاهرة لاعتناق الفكرة العالمية ، فإنه لن يزال هناك أيضاً اعتبارات من المصالح الواقعية والفوارق العنصرية ، والتفاوت فى المواهب والإمكانيات ، وثروات الأوطان والشعوب ، تناقض الفكرة العالمية وتقاومها أشد المقاومة ؛ حتى يؤمن الإنسان

التمس بأن وراء الواقع الإنسانى واقعاً أعلى شأناً منه يجب له الخضوع والاستسلام ، بقطع النظر عن المصلحة الذاتية ، وعن قضية الربح والخسران .

إن العالم ملىء بالمتناقضات ، وسوف يظل مذبذبا بين تياراتها ، قلقا مضطربا حتى يملك القوة النفسية على التسامى بالعقيدة الإلهية فوق هذه التيارات ، وحينئذ يتحقق قول الله سبحانه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

* * *

من هذا كله يتضح أن الشريعة الإلهية ضرورة عالمية مادام أن الإنسان لا بدَّ له من مثل أعلى يوقظ مواهبه ، ويستثير قواه ، وما دامت المثل المادية الأخرى فى حرب قائمة فيما بينها ، وما دامت الإنسانية مهددة بهذه الحرب ، معرضة لهولها وخرابها .

لقد فشلت العلوم الإنسانية والأنظمة الوضعية فى محاولتها الحصول على علاج لأدواء العالم التى توشك أن تقضى عليه ؛ وذلك لأن العلوم الحديثة هى التى تكتشف طرق التخريب والتدمير ، وتكشف كذلك أسباب التفاوت والتناقض بين مصالح الأمم ، فتُحمل كل أمة — تحت تأثير الواقع المشاهد — على أن تحرص على مصلحتها الخاصة ، لأنها لا تجد لها مرشداً غير العلم ، والعلم كما بيَّنا لا يوحى إلى أهله بالاتحاد ، بل يوحى إليهم بالفرقة والخصومة ، وهذا التنازع العالمى إن هو إلا ثمرة من ثمرات العلم وأثر من آثاره ، فكأن البشر إذ يخضعون خضوعاً مطلقاً لمقتضيات القوانين المادية إنما يتجردون من خصائصهم الإنسانية السامية ، وينزلون عنها لحكم المادة العمياء ، والسير وراء مقتضياتها ولو أدَّت بهم إلى الجحيم .

* * *

ما دام هذا العالم المحسوس المشهود لا يوحى إلا بالحرب والتقاتل والتفانى ؛ فعلى الإنسانية إما أن تؤمن بما وراء المحسوسات أو تنتحر « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

حين يصدق الحاكم !

« هاتان رسالتان ، إحداهما من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر ابن الخطاب ، والأخرى رد عمر عليها ؛ وكلاهما تنضح صدقاً ، وكلاهما تنقل صورة عن الأساس النظيف الذى قامت عليه صلة الحاكم بالمحكوم فى المجتمع الإسلامى الأول فقام بها مجده ، والذى غاب فانقلبنا إلى هذه الغاية !! » .

أما رسالة أبى عبيدة ومعاذ فهى ذى :

« من أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب ، سلام عليك . أما بعد : فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ؛ فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! ، وإنّا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه ، وتجف فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته فالخلق داخرون له ، يرجون رحمته ويخافون عقابه ، وإنا كنا نحدَّث أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا ، فإنما كتبنا به نصيحة لك ، والسلام عليك » .

***

وهذا رد عمر :

« من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ومعاذ ، سلام عليكما . أما بعد : فقد أتانى كتابكما تذكران أنكما عهدتمانى وأمر نفسى لى مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يدى الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل . كتبتما فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! وإنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل ، وكتبتما تحذرانى ما حُذِّرت منه الأمم قبلنا ، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار . كتبتما تحذرانى أن أمر

هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة ، تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم .. كتبتم تعوذانى بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما ، وأنكما كتبتما به نصيحة لى ، وقد صدقتما ، فلا تدعا الكتابة إلىّ ، فإنه لاغنى لى عنكما ، والسلام عليكما » .

إلى حضرات المشتركين ومندوبى المجلة

ترجو إدارة المجلة حضرات المشتركين الذين لم يبعثوا بتجديد اشتراكاتهم أن يبادروا إلى ذلك حتى تُضمن لهم نسخهم فى الأعداد التالية .

كما ترجو الإدارة حضرات مندوبيها فى كافة البلاد أن يسارعوا — مشكورين — إلى إرسال مااستُحق بطرفهم من الاشتراكات .

وتأمل الإدارة أن يلاحظ الجميع ما فى انتظام توريد الاشتراكات من التيسير فى إصدار المجلة .

اليهود في القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

١ — قلنا فى مقال سابق إن اليهود أخذت أخبارهم حيزاً كبيراً من القرآن الكريم ، ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى فى محكم آياته عيوبهم النفسية والخلقية والاجتماعية ، التى لا نزال نراها فى طوائف منهم إلى اليوم ، وقد قال الله تعالى لنبيه الكريم : « ولا تزال تطّلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » فنحن نرى هذه الخائنة كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يراها . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعفو عنهم ويصفح ، ولكنه يأخذ الحذر منهم ، ويعلم أنهم ينتهزون كل فرصة ، ويترقبون كل ضعف .



وهكذا الإسلام لا يضمر عداوة ، بل يرُدّ كيد الأعداء ، ولا يحقد على البشرية ، ولكن لا يستسلم لمن فقدوا معانى الإنسانية ، لا يبغض ولكن يَقْتَصّ ، لا يعتدى ولكن يشفى قلوب المؤمنين ممن يعتدى عليهم . إن أحقاد النفوس وأضغانها هى من شئون الضعفاء ، والإسلام لا يريد من المؤمن الضعف ، ولا أخلاق الضعفاء ؛ فالمؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

إن ما بين الجنوب من إحن يكون نتيجة العجز عن رد المعتدين ، فإنه إذا عجزت القوى عن القصاص من المعتدى ، ورد كيده فى نحره ، وأخذه بالسيف الذى شهره — تولدت سخائم القلوب ، وسكنت فيها الأحقاد والضغائن ؛ وكذلك كان اليهود ، ولذلك يأبى الإسلام للمسلمين الخور والضعف والجبن .

٢ — كان اليهود فى الماضى والحاضر أجبن الناس ، وأشدهم حرصا على الحياة ، ولذلك وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة »

فهم يحرصون على الحياة أيًّا كان لونها ، ومهما يكن مظهرها وشكلها ، لا فرق عندهم بين حياة يسمو بها الإنسان نحو معالى الأمور ، وحياة ينزو فيها نزو القردة ، ولا فرق عندهم بين حياة تعلو فيها القيم الإنسانية الخلقية ، وحياة تنحدر إلى مهاوى الحيوانية ؛ فتلك وهذه سواء ما داموا يحيون ، ويأكلون ويعيشون ، كما قال سبحانه وتعالى فى أشباههم من المشركين : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » .

ولقد يقول قائل: إن القرآن — وهو الصادق فى إخباره عنهم — قد وصفهم بالجبن فى كثير من آيه ، وأن الذلة مضروبة عليهم إلى يوم القيامة ؛ فكيف نوفق بين خبر القرآن الصادق ، وبين حالهم اليوم وقد استشروا ، واستأسدوا ، حتى وَلغُوا فى دماء البشرية ، وانتهكوا كل الحرمات الإنسانية ، وأخرجوا الآمنين من ديارهم ؟ وإن التوفيق سهل بَيِّن واضح ، فهم فى كل الأحوال أذلاء جبناء ، سواء كانوا ضعفاء ، أم كانوا أقوياء .

٣ — لقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالذلة ، ولكن أشار إلى أنه قد يكون لهم سلطان بحبل من الناس ، فقد قال تعالى : « ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضُربت عليهم المسكنة » فما نالوا سلطاناً فى الأرض إلا بحبل من الناس ، وإرادة من الله ، ومن نال السلطان بعزة غيره ، فهو ذليل ، وليس بعزيز ؛ إنما العزيز حقا وصدقاً ، من كانت عزته من بين جنبيه ومِنْ ساعده وكاهله ، ومعونة الله وتوفيقه ، أما من اعتز بغير الله وبغير نفسه ، فهو عبد لمن اعتز به ، ذليل لمن استنصره واستصرخه ، والحر حقا وصدقا من نال حريته بعون الله وعمله ، واستحفظه على حريته بقوته وبأسه ، لا بقوة مستعارة ، ولا بأس ممنوح . إن القوة الحقيقية لا تكون بالاستجداء ، واليهود اليوم ينشئون دولة بالاستجداء ، فأى عزة هذه ؟ لقد صدق قوله تعالى : « وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » .

٤ — ولقد وصفهم القرآن بالجبن ؛ وليس الجبن مرادفاً للضعف ، ولا الشجاعة مرادفة للقوة ، وأخطر الناس الجبان إذا كان قويا قوة مادية ؛ ذلك بأنه يستعمل القوة

استمهال اللئيم ، لأن الجبان لا يمكن أن يكون كريما ، وإذا كان اللئيم قوياً قوة مادية كان الفساد فى الأرض ، وكانت الحرمات المنتهكة ، وكانت الرذائل الفاشية ، وذهبت المروءة ، واعوج كل قائم ؛ وكذلك الشأن مع هؤلاء ، أوتوا بالاستجداء قوة مادية ؛ وقد فقدوا كل قوة نفسية فأشاعوا الشر ونشروه ، وانتهكوا كل حرمة للفضيلة ، وأخذوا يضربون بسيوفهم ضرب الجبان الرعديد الذى يجىء إلى الضعيف فيضربه ، ويخشى القوى ولا يقاربه ، ألم ترهم فى اعتداءاتهم المتوالية ، يتحرون الأعزل بضربة الغدر ، ويفرون من كل قوى يحمل سلاحاً ؟ ألم ترهم يبقُرون بطون الحبالى فعل اللئام الأذلاء ، ويفرون إن سمعوا أى صيحة ؛ لأنهم جبناء يحسبون كل صيحة عليهم العدو ؟ فالجبن طبيعة فيهم ، ولو لبسوا لامة الحرب ، وغَشَّت أجسامهم الدروع ، حتى لا ترى إلا عيونهم الحائرة ، وحدقاتهم المضطربة المائرة ؛ إن الشجاعة فى القلوب ، لا فى السيوف ، والسيف لا يعمل إلا فى يدى بطل .

٥ — لقد قرر القرآن الكريم أنهم جبناء ، وذكر لنا ما أرشد إليه رب العالمين النبيين من سبلٍ لتنمية روح البأس والنجدة فيهم ؛ ألم تر إليه سبحانه يذكر حالهم مع موسى إذ دعاهم إلى الجهاد ليدخلوا الأرض المقدسة ، فلما لم يجيبوا تركهم سبحانه يتيهون فى الصحراء أربعين سنة ؟ فقال تعالى : « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين » تلك هى التربية الإلهية التى أخذهم رب العالمين بها ليتعود بعضهم البأس والقوة ولقاء الأعداء ولو كانوا جبارين فى الأرض .

لقد كانوا يعيشون فى أرض مصر مستعبدين يذبّح فرعون أبناءهم ويستحيى نساءهم ، وقد أنزل بهم البلاء العظيم ، فكانوا أذلاء مستضعفين فى الأرض ، حتى أنقذهم الله بموسى ، وأغرق فرعون وحاشيته ، وجنده . ألفوا بهذه الحياة الذليلة عيشة المسكنة والدعة والتواكل ، وعدم القدرة على تحمل الأعباء ؛ فكان لابد لتربية النخوة والعزة والهمة فى قلوبهم ، أن يعيشوا فى الصحراء ، ويتيهوا فى البيداء ، لتتربى فيهم عناصر البأس والقوة والاعتماد على النفس ، وليذهب الجيل الذى استنام إلى الذلة ، واستمرأ العبودية ، ورضى من الحياة بالمنزل الدون ، والمكان الهون ،

رباهم سبحانه وتعالى هذه التربية ليمكنهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ؛ وليمكنهم أن يحيوا حياة عزيزة قوية تبتدئ من نفوسهم ؛ فيكون لهم بذلك أولاً السلطان على أنفسهم ، ثم يحيون من بعد حياة السيد العزيز ، لا العبد الذليل .

٦ — وإنهم بهذه التربية العالية الإلهية قد استعادوا على أيدى الأنبياء عزتهم ، وحياتهم كأمة ، وقد فقدوها ، وإنه على الراجح هم الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ، وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون » .

فإن أولئك قد خرجوا من ديارهم وهم ألوف خوف الموت ، ثم انسابوا فى البيداء ، وفقدوا كيانهم الاجتماعى وحياتهم كجماعة لها نظام قائم ، وبذلك ماتوا ذلك الموت الجماعى ، حتى إذا استردوا بعض بأسهم وقوتهم ، واستولوا على نفوسهم كانت تلك هى الحياة التى أفاضها عليهم رب العزة ، فإن الحياة الحقيقية هى الحياة العزيزة التى لا ذل فيها ، والحياة الذليلة هى الموت الحقيقى ، وقديماً قال الشاعر العربى :

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

٧ — وإن الله سبحانه وتعالى ليقص علينا خبر اليهود وقد أحسوا بأنفسهم ، وامتلأت قلوب بعضهم بالبأس والقوة ، فقد اتجهوا إلى نبيهم الذى بعثه الله فيهم ؛ إذ بعث فى نفوسهم بأساً وقوة ، وكان منهم شجعان أقوياء — اتجهوا إلى نبيهم أن يبعث الله فيهم ملكا : أى رئيساً يقودهم إلى مواطن العزة والرفعة ، وليس المراد من الملك هو من يتولى بالوراثة ، بل المراد الرئيس الذى يملك زمام الأمور ويسوس أمورهم بالعدل والحق ، ولذا قال سبحانه فى قصصهم : « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى ، إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله » ولكن نبيهم يعلم ماضيهم ، ويعلم أنهم يقولون مالا يفعلون ، ولذلك ناقشهم فى الأمر ، « قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا » ولكنهم بينوا أن نفوسهم قد صقلتها الشدائد ، وتربت فيهم روح البأس ، بعد أن أخرجوا من ديارهم « قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » .

ولكنهم إذ كتب عليهم القتال ، وجاءت ساعة الجد ، وحمى الوطيس ، تبين أن روح النجدة ليست إلا فى العدد القليل ، وليست فى الجم الغفير ، ولذا قال سبحانه فيهم : « فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » .

٨ — لقد طلبوا الرئيس الذى يجمع أمرهم ، فاختار الله لهم القوى فى جسمه وخلقه وفكره وعلمه ، ليقودهم إلى مواطن الشرف ، ولكنهم أرادوا الرئيس من ذوى البيوتات ، لا من ذوى النجدة ، وهذا ما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنَّى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » .



وتراهم قبل أن يخوضوا غمرات القتال اختلفوا فى الرياسة ، واعترضوا على الرئيس ، وكذلك الشأن فيمن يقدمون على معالى الأمور ، ولم يذوقوا من بعد حياة العزة الحقيقية ، والتقدير الكامل لمخاطر الفرقة ؛ لقد حسبوا الرياسة فيهم تشريفاً ، ولم يحسبوها تكليفاً ، وحسبوها مزايا ، ولم يقدروا أنها تحمل للبلايا ، وأنها الصبر على الأعباء الجسام .

٩ — لقد خاضوا من بعد ذلك بهذه القيادة التى اختارها لهم رب العالمين غمار الحرب ، ولكن لم يصبر الأكثر ، وصبر الأقل ؛ ولم يرض قائدهم الحكيم أن يلقى العدو إلا بمن اختبره ، فكان الصابر فى الشديدة ، والمطيع فى المكره ، فأولئك وإن كان عددهم قليلا سينتصرون ما داموا قد خلصوا نجياً من المثبطين دعاة التردد والهزيمة ، الذين لو خرجوا فيهم ما زادوهم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالهم يبغونهم الفتنة وهم يعلمون .

ولقد انتصرت تلك القلة ذلك الانتصار المؤزر ، وسجل الله سبحانه وتعالى ذلك الانتصار الذى أبلى فيه بلاء حسناً داوود عليه السلام — وكانت له الرياسة بعد طالوت — بتلك الشجاعة النادرة ، فقد قال تعالى : « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم بإذن الله ،

وقتل داوود جالوت ، وأتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

دخل اليهود الأرض المقدسة ، وقادهم من بعد ذلك داوود عليه السلام ، ومن بعده ابنه نبي الله سليمان ، حتى كوّنوا دولة واسعة ، ولكن القلة فيهم هى التى تعمل وتسود ، والكثرة قد استمرأوا السكون ، واستناموا إلى الراحة وطلب الملاذ والأهواء .

١٠ — أظهرت الأيام فى الماضى كما يقص القرآن أن الخير فيهم كان دائماً قليلا ، وأن التربية التى تولاهم بها رب العالمين كانت تثمر فى العدد القليل ، ولا تصيب من العدد الكثير ، إلا شيئاً واحداً ، وهو أن يسكنوا إلى طاعة خيارهم والرضا بما يفعلون إن استقاموا ، حتى إذا أذهب الله عنهم رحمته ذهبت عنهم الطاعة ، وغلب عليهم الشر وسادت الفتن ، وإن سكنت ، فالأهواء متحكمة ، والشهوات هى المسيطرة ، حتى لقد شبههم الله سبحانه بالقردة والخنازير ، وكأنهم مسخوا فى نفوسهم فصاروا كذلك ، ولذا جعلهم سبحانه مثلا لأسوأ الجماعات فقال سبحانه : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكاناً ، وأضل عن سواء السبيل » .



ولاستيلاء الأهواء والشهوات على نفوسهم كانوا لا يؤمرون بأمر فيه المصلحة الحقيقية لهم إلا خالفوه ، مطيعين الهوى ، ومجيبين نداء الشهوة : أمرهم سبحانه بأن يمتنعوا عن الصيد يوم السبت فَطْماً لأنفسهم عن الأهواء ، ولكن سرعان ما عصوا أمر ربهم ؛ والعصيان يولد العصيان ، والإثم يولد الإثم ، حتى استمرأوا كل شىء ، ولذا قال سبحانه : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » .

١١ — وإن القرآن الكريم لم يعمم الحكم بالشر على اليهود كلهم ، فإن فيهم بعض الخير ، كما يفهم من قولنا ، ولذا قال سبحانه وتعالى : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون » وقال تعالى أيضاً : « منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون » فأولئك هم أخيارهم ، ولا بد أن ننصف الحق بذكرهم ، ولا نستطيع

أن نحكم على جماعة بأن كل من فيها شر لا خير فيه ، وأن كل القلوب طُمست حتى لا يمكن أن يصل النور إليها أبداً ، وأنهم ظلام فى ظلام لا نور فيهم قط ، ولا يمكن أن يكون ذلك ، بل إن فيهم خيراً ؛ ولكن يمتاز اليهود فى الحاضر كما امتازوا فى الغابر عن سائر الجماعات بأن الخير لا يسيطر عليهم ، ولا يكون هو الواضح فيهم ، ولذلك كان الذم لجماعتهم من حيث إنهم لا يمكنون للخير أن يسود ، ولا يخفون الشر ، ولذا قال سبحانه وتعالى عنهم ، لاعناً لهم ، مبيناً سبب اللعنة : « لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوْا ، وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهوْن عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » فكانت جماعتهم شريرة بهذا المعنى ، أى أن المجموع فيهم شرير ، لأن الشر هو الذى سادهم ، وليس الجميع أشرار ، بل فيهم أخيار مغلوب على أمرهم ، لا يسمع لهم قول ، ولا يجاب لهم نداء .



١٢ — وهكذا تفسد الجماعات ، ويسودها الشر ، ويختفى من بينها الخير ؛ ولذلك حثّ الإسلام على منع الشر لأنه فتنة الجماعات ، إن سيطر عليها أذهب وحدتها ، وأذهب كل أمر صالح ، واعوج المستقيم ؛ وتحدرت الأخلاق إلى مهوى سحيق ؛ ولذلك قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون . يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ولقد أمر الله سبحانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سدًّا لأبواب الفتن ، وحملا للجماعة على الاتحاد ؛ فإنه لكى تكون الجماعة الإسلامية موحدة ولا تدخل الفتنة إلى قلوب المسلمين ، سد الله سبحانه ثغرات تلك الفتن بفرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعله فريضة الإسلام الكبرى ، وجعله بعض الجهاد ، وجعله أساس الوحدة الإسلامية ؛ لأنه لا وحدة إلا إذا كان التواصى على الحق ، والتواصى على الصبر فى سبيل إعلاء شأنه ، فإن هذا شعار المسلمين ، ومظهر الصالحين ، فقد قال تعالى : « والعصر

إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

١٣ — إنه لا وحدة لجماعة إلا إذا كان فيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهما ملاك الأمر كله ، وكل جماعة تسُد ذلك الطريق ، فمآلها التفرق مها تكن قوة اتحادها ، ومآل أمورها إلى عبث وفساد مهما يكن القائمون عليها يريدون الإصلاح ويبتغونه ؛ فمن يرد الإصلاح عليه أن يجعل على نفسه رقيباً من الناس يقوِّمونه إذا أعوج ويجنبونه الشطط إن مال ، ويأخذونه إلى الجادة إن انحرف ، ولقد بين سبحانه وتعالى لنا أن أقوى دعائم الاتحاد هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولذا دعا إلى الاتحاد بين المسلمين ، ثم أمر سبحانه بعد ذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

١٤ — إن معقد العزة فى الأمة أن يكون فيها رأى عام يمنع الآثم من أن يجهر بإثمه ، ويشجع أهل الخير على الظهور بخيرهم ، رأى عام يقوم المعوج ، ويصلح الفاسد ، ويهدى الضال ، ويرشد المخطىء ، ويدعو إلى الخير ، وكل ما يسير بالجماعة نحو الكمال ؛ وذلك الرأى العام اللائم المهذب لا يكون إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولذلك كانت الأمم التى ينادَى فيها بالخير ، ويستنكر فيها الشر خير الأمم ، وتعرف عظمة الأمم بمقدار قوة الرأى العام فيها ومقدار سموه وعلوه وقوة تهذيبه وإصلاحه ، ولقد اعتبر القرآن الكريم الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس إذا قامت بالواجب فجعلت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جامع وحدتها ، وملاك أمرها ، ولذا قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

اللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا .

هذه سبيلنا :

حسن البنا يطالب بحكم الإسلام

« ننشرهنا رسالة كتبها الإمام الشهيد ، رضوان الله عليه ، قبل سبعة عشر عاماً يعذر فيها إلى الله بمطالبة الحكام المسئولين ، فى الوقت الذى كان يعكف فيه على تربية جيله المؤمن الجديد . وقد أفضى إلى ربه صريع الدعوة التى عاش لها ، وبقى الجيل الذى رباه أميناً مصراً ، لا يرضى إلا بالحق ، ولا يميل مع الريح » .

(حضرة صاحب المعالى أحمد خشبة باشا وزير الحقانية) .

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تمسك بشريعته إلى يوم الدين ، وأرفع إليك تحية الإخوان المسلمين فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لستُ فى حاجة إلى أن أتقدم إليكم بالبراهين الكثيرة والحجج المتضافرة على أن دواء هذه الأمة فى رجوعها إلى هدى الإسلام فى كل الشئون ، وأول هذه الشئون القانون ؛ فأنت بحمد الله — فيما أعتقد — مقتنع بهذه الفكرة : سمعتك تتحدث بها وتدلل عليها وتعمل لها وأنت خارج الحكم ، وأنت عضو مجلس إدارة الشبان المسلمين ، وأنت أمين صندوق اللجنة العامة للدفاع عن فلسطين ، وأنت رئيس جماعة إحياء مجد الإسلام .

والآن يا (معالى الباشا) وقد جاء دور العمل وواجهنا الحقائق ، ودخلنا بوتقة التجارب ، وأصبحت وأنت شيخ القضاة ورأس المشرعين فى مركز تستطيع فيه أن تحقق ما يرجوه المسلمون جميعاً ويتمنونه ، ويريدون الحصول عليه مهما كلفهم ذلك من أثمان ، وما كنت أنت نفسك تتمناه وترجوه وتؤمن بصلاحيته وتعتقده ، من وجوب تعديل القوانين ، وتوحيد المحكمة المصرية حول شريعة الإسلام — الآن وقد صرت راعياً مسؤلاً عن الرعية فى ناحيتك .

إن صدور الأمة محرجة أشد الحرج لشعورها بأنها تحكم بغير كتاب الله وقانونه

وشريعته ، وإن الشعوب إن تعودت الصبر حينا فإن الانفجار نتيجة طبيعية لهذا الصبر فى كثير من الأحيان ؛ وليس يحرج النفس شىء أكثر من الاصطدام بالعقيدة الراسخة الثابتة . وإن قوانيننا الحالية تنافى الإسلام وتصدمه وتحطمه فى نفوس المؤمنين به وهم كل هذا الشعب ، وقد تفتحت أذهان الأمة وأدركت بُعْدَ ما بينها وبين دينها فى هذه الناحية ، فشعرت بالحرج الشديد إن بقيت الحال على ما هى عليه ؛ فلا تلجئوا الناس إلى عصيان القوانين واحتقار الشرائع والتبرم بالقضاة وبالأحكام .

يا (باشا) لنقف معاً بين يدى الله ونسمع معا ، ألم يقل الله تبارك وتعالى :

١ — « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما[١] » .

٢ — « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟[٢] » . فى بيان طويل يستفتح بالآية الكريمة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « والظالمون » « والفاسقون » .

٣ — « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما[٣] » .

هذا فى الناحية الكلية ، وفى الناحية الجزئية قد بين القرآن كثيراً من الأحكام فى كثير من الشئون المدنية والجنائية والدولية والتجارية وما إليها ، وأكدت الأحاديث الصحيحة كل ذلك وأيدته ؛ وما أنزلها الله وقدرها إلا ليعمل بها المسلمون، وينتهوا إلى حكمه فيها ، ويستمدوا منها ويطبقوا عليها . فإذا كانت قوانيننا وشرائعنا والدستور نفسه مستمدة من معين غير هذا المعين ، مستقاة من مصادر أوربية بحتة : بلجيكية وفرنسية ورومانية ، وهى فى كثير من كلياتها وجزئياتها تتناقض تناقضا

---

(١) سورة النساء : آية ٦٥ .
(٢) سورة المائدة : آية ٤٩ ، ٥٠ .
(٣) سورة النساء آية : ١٠٥ .

صارخا مع التعاليم الإسلامية الصريحة ؛ فكيف يكون موقف المسلم الذى يؤمن بالله وكتابه فيما إذا عرضت له قضية حكم فيها بغير ما أنزل الله وكان الحكم مناقضا لدين الله ؟ وكيف يستحل القاضى هذه المخالفة ، وكيف يستسيغها وكيف يتحمل تبعتها شيخ القضاة ووزير العدالة والتشريع بين يدى أحكم الحاكمين ؟

أنقذونا (يا باشا) من هذا الحرج وأخرجونا من هذه الورطة ، ولا تجعلوا أعمالنا تصطدم بعقائدنا . وأنا أعرف كثيراً من الناس يفضل ضياع حقوقه مدنية أو جنائية أو تجارية على أن يقف بين يدى قاض يحكم بغير ما أنزل الله .

إن التبعة (يا باشا) كبيرة ، ولئن كان هذا الحساب شديداً إن حساب الله أشد ، ومهمتنا التذكير ؛ ولا يغنى أن نتملل بالمعاذير فإن الله لا ينظر إلا إلى القلوب والأعمال . هذا من الوجهة الروحية البحتة -- ولنأت من الوجهة القانونية .

ألم يعترف كبار رجال القانون من مصريين وأجانب بأن الشريعة الإسلامية من أخصب منابع التشريع وأزكاها وأدقها وأشملها ؟ ولم ننس بعد تصريح المسيو بيولا كازللى بوجوب تصحيح القواعد الفاسدة فى القانون الفرنسى المعمول به فى مصر طبقاً للشريعة الإسلامية ؟ ! ولم ننس كذلك محاضرات المسيو لامبير وتصريحاته الخطيرة الواضحة فى هذا الشأن ، ولم ننس بعد تقارير مؤتمر لاهاى فى الإشادة بالشريعة الإسلامية وامتداح نظرياتها القانونية وغناها بالبحوث القيمة وكفايتها فى التشريع التام . وفى مصر كثير من أعلام رجال القانون يؤمنون بذلك ويصرحون به ويودون أن يكلفوا الاضطلاع بهذا العبء . وعجيب أن يكون من بينهم المستشارون فى المحاكم المختلطة بله المحاكم الأهلية ؛ ومن هؤلاء محمد (بك) صادق فهمى رئيس محكمة المنصورة المختلطة ، والأستاذ عبد الرزاق (بك) السنهورى عميد كلية الحقوق السابق ، كما أشار إلى ذلك حضرة كامل (بك) مرسى ، وعبد الفتاح (بك) السيد ، والأستاذ على بدوى من أساتذة القانون فى المحاكم وفى كلية الحقوق .

والبحث العلمى أعدل شاهد على صحة هذه النظريات ؛ وما قال هؤلاء ما قالوا إلا بعد دراسات طويلة وبحوث عميقة خلدوا بعضها بكتاباتهم وبقى بعضها مستقراً فى

نفوسهم إلى الوقت المناسب . وليس المقصود من هذا الخطاب هذه الموازنات ؛ فذلك له موضع آخر .

ولنأت إلى الأمر من وجهته العملية .

لقد عاشرتنا هذه القوانين خمسين عاماً ونيفاً ، فماذا أفادت منها الأمة إلا كثرة الجرائم وتزايدها عاماً بعد عام ، ويوماً بعد يوم ، وانتشار الموبقات وارتكاب الجنايات ؟ ذلك أنها لا تتفق مع طبيعتنا ، ولا تصلح فى بيئتنا ، ولا تجدى فى علاج أدوائنا ؛ ولا دليل أصدق من الواقع المشاهد . وذلك فى الوقت الذى ترى فيه البلاد الإسلامية التى أخذت بشىء من تشريع الإسلام قد استتب فيها الأمن ، وتوطدت السلطة وعمت السكينة ، وساد احترام القانون ، واطمأن الناس على الدماء والأموال والأعراض. فهلا تريد مصر أن تصل إلى هذه النتيجة المرضية برجوعها إلى تعاليم الإسلام وشرائع الإسلام ؟

ياسيدى (الباشا) :

الأمر واضح لا يحتاج إلى بيان ، وبقيت بعض شبهات يتعلق بها الذين يقفون فى طريق الإصلاح بحسن قصد أو سوء قصد ، نحب أن نناقشها فى إيجاز وأنا معتقد أن معاليكم أعرف الناس بأن هذه الشبهات أوهى من أن تقف فى سبيل إصلاح ما .

يقول هؤلاء المرتابون :

أولا : إن فى مصر عناصر غير إسلامية إن حُكمت بأحكام الإسلام كان ذلك متنافياً مع حرية الدين التى كفلها الدستور للمواطنين ، وإن حكمت بغير أحكام الإسلام كان ذلك نوعاً من الامتياز البغيض الذى حمدنا الله على التخلص منه وإزاحة كابوسه عن الصدور . هذه الشبهة مردودة بجزءيها ، فإنهم إن عوملوا بتعاليم الإسلام لم يكن فى ذلك اصطدام بحرية الدين ، فإن الحرية المكفولة هى حرية العقيدة وحرية العبادة والشعائر وحرية الأحوال الشخصية ؛ أما الشئون الاجتماعية فهى حق الأمة ومظهر سيادتها ، فهم فيها تبع للأكثرية ، فإذا ارتضت أكثرية الأمة

قانوناً فى هذه الشئون الاجتماعية بصرف النظر عن مصدره فهو قانون للجميع ، إذ أن محاربة الجريمة من حق الدولة ، بدليل أن الأمم الأوربية وهى التى تفخر باحترامها للحرية والحقوق الشخصية ، وتزهى بأنها أقرت الديمقراطية ، ونادت بحقوق الإنسان — مع هذا هى تعامل كل نزلائها وأقلياتها بحكم القوانين الموضوعة المرضية عندها بصرف النظر عن أديانهم وعقائدهم ، فالإنسان فى فرنسا أو إنجلترا أو ألمانيا أو نحوها ، سواء أكان نزيلا يتمتع بجنسيته الخاصة أو مواطناً يخالف الأكثرية فى الدين ، يحاكم بمقتضى قانون البلاد الموضوع دون نظر إلى قانون بلده أو تشريع دينه . وبغير ذلك لا تتحقق سيادة الأمة ولا يتحقق استقلالها الداخلى . هذا إن عوملوا بأحكام الإسلام وبشريعته .

وإن عوملوا بحسب شرائعهم مع الاحتفاظ بحقوق الدولة كاملة معهم فليس فى ذلك امتياز يخيف ؛ فإن المساواة فى الأحوال الشخصية بين المسلم وغير المسلم مفقودة إلا إذا رضى غيره بذلك . ولا يقال إن إقرارنا لهؤلاء المخالفين على أحكام دينهم فى أحوالهم الشخصية امتياز ممنوح لهم يفضلون به غيرهم ، بل هو أمر خاص بهم ؛ وأما الامتياز المؤلم فهو أن تضيع حقوق أبناء الوطن فى سبيل الأجانب وغير المسلمين بحكم الضعف والاستكانة والذلة والمهانة .

والإسلام الفسيح الذى لا يحتم علينا أى الطريقين فنحن نختار . والأولى إلينا أحب وبحالنا أوجب ؛ ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى فى صدر آيات الحكم بتنزيله : « فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا » .

على أننا نعرف كثيراً من أفاضل رجال القانون من مواطنينا المسيحيين جهروا كثيراً بأنهم يودون لو عوملوا بأحكام الشريعة الإسلامية فى كل شىء .

ثانياً : ويقولون كذلك إن كثيراً من هذه التشريعات لا يمكن تطبيقه عمليا . ولنأخذ مثلا (الربا) فهل نستطيع إبطاله من محاكمنا وقانوننا ونحن مرتبطون بالنظام الاقتصادى الدولى العام . والشبهة مردودة كذلك بما نشاهد من أحوال الدول القوية العزائم التى وضعت لنفسها نظما اقتصادية خاصة فرضتها على أممها وأجبرت العالم على احترامها ، وكان العامل الأكبر فى ذلك صدق عزيمة حكوماتها وحسن استمداد

شعوبها ؛ فلا عقبة أمامنا فى مثل هذا إلا الوهن ، وتجسيم الأمور والخوف الذى لامبرر له . ونحن والحمد لله أمة غنية بمواردها ، وكل المواد الحيوية الضرورية موفورة لدينا ونستطيع الاستغناء إلى حد كبير عن غيرنا — مع حفظ كياننا الاقتصادى لو صحت عزائمنا — ماذا فعلت إيطاليا حين وقفت أمامها بالمرصاد اثنتان وخمسون دولة فيها الدول العظمى وفرضت عليها العقوبات وحصرتها داخل ديارها ؟ ألم ترغم هذه الدول على احترام مشيئتها وتقدير عزيمتها ، وتنفذ قرارها بدون سيف أو نار ، ولكن بغيرة الشعب وعزيمة الحاكمين . وماذا فعلت الدول لهتلر حينما أصدر أمره بعدم خروج النقد من ألمانيا بتاتا ؟ هل وقف دولاب التجارة فى ألمانيا أم احترمت الشعوب الأخرى هذه الإرادة وعاملت ألمانيا على أساس المبادلة التجارية .



لايقال إن هاتين الدولتين قويتان ونحن ضعفاء ، فليس الكلام فى حشد الجيوش وتجهيز المعدات ، ولكن نتكلم فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ؛ وكل شعب مهما ضعف حر فى ذلك كله إن حددت وجهته ، واستبانت غايته ، وقويت عزيمته .

إن الشعوب الأخرى يهمها أن نكون معها شرفاء فى المعاملة . ونحن نلاحظ أن كثيراً من المصارف والدائنين يرضون بالتسويات وفيها نزول عن شىء من الحق الأساسى فى سبيل الحصول على الحق نفسه ؛ فإذا منع القانون التعامل بالربا وتشدد فى استيفاء الحقوق كان فى ذلك الضمان الكافى للمولين الآخرين ، ورضوا به واطمأنوا إليه ، وعاملونا على غير أساس الربا المحرم شرعاً فى كل كتاب .

ولماذا لاتكون مصر السابقة بإنقاذ العالم (من نظام الربا البغيض) ولماذا لاتبشر حكومة مصر بهذا المبدأ السامى الإنسانى الرحيم ، ولماذا لاترفع راية الدعوة إلى تحرير الإنسانية من رق الربا وإقناع الشعوب بوجاهة هذه الفكرة كما رفعت بعض الدول الأوربية راية الدعوة إلى تحرير الإنسان من رق العبودية ، وأقنعت الشعوب بوجاهة نظرتها وكسبت فخر هذا الدفاع ؟

ولم الخوف وفيم اليأس ؟ هل نعجز عن أن نقدم للإنسانية خدمة جليلة ونحن الذين أنقذناها فى كثير من المواقف ، وأشعلنا بين كثير من أممها شعلة العرفان والنور ؟

ليس هذا من الشعر ولا من الخيال (يا باشا) ولـكنها حقائق سيتنبه لها العالم ، ونريد أن يكون لنا شرف السبق بهذا التنبيه .

ولماذا لاتـكون هذه الخطوة (يا باشا) سبيلنا إلى الحرية الاقتصادية ، وطريقنا إلى تعويد هذا الشعب الذى طال به عهد الاعتماد على الغير أن يعتمد على نفسه وعلى موارده ، وأن يستغنى فى كثير من شئونه عن الناس ؟ وهل هناك فرصة أثمن من هذه ؟ وهل هناك عامل يساق به هذا الشعب المتمسك بدينه أقوى من الدين ؟ وهل هناك إنقاذ لهذا الشعب الفقير أعظم من إنقاذه من اللصوص السرقة القساة من المرابين ؟

هذا مثل أحببت أن أتقدم به لدحض هذه الشبهة : شبهة صعوبة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وأخرت لذلك أعقد المسائل وألصقها وأمسها بحياة الناس حتى لا يكون هناك قول لقائل ، ولا حجة لمعتذر .

ثالثا : ويقولون إننا حين نطبق هذه الشرائع الإسلامية فى قطع يد السارق[1] ورجم

---

(١) إن القوانين الوضعية لا تستقصى حالة السارق وقت السرقة ، ولا تستقصى أثر الحـكم فيه وفى أهله وولده ؟ بل تعاقبه مطلقاً ، جاهلا كان أم عالما ، فقيراً أم غنيا ، بل ربما كان علمه وغناه من أسباب تخفيف العقوبة عليه لا من أسباب تغليظ العقاب . والأمر ليس كذلك فى دين الله .

إن الله عز وجل أراد أن تنشأ العفة من داخل النفس أولا ؟ فينصرف الإنسان عن المعاصى وهو فى خلوته لا يطلع عليه أحد من الناس ، ويشعر بأن ربه معه أينما كان ، مطلع على أعماله ، لا تخفى عليه منه خافية : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم » .

وقد ذكر الله تعالى عقاب السرقة مرة واحدة ، ولـكنه كرر النهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، وصوره فى صورة مؤثرة ترد من تحدثه نفسه بأن يمد يده إلى مال غيره ، دون حاجة إلى التخويف بالعقاب الدنيوى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً ، وسيصلون سعيراً » ، « ولا تأكلوا أموالـكم بينـكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحـكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

وفى الحديث عن الرسول عليه السلام : « إن دماءكم وأموالـكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام » .

وتأمل قول الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً » .

الزانى وما إلى ذلك نرجع بالأمة إلى عهد الهمجية ، ونفوت عليها فرصة الانتفاع بما

== تأمل : « من بعد ما تبين له الهدى » أعنى أنه يجب أن تبلغ الدعوة إلى السارق ، ويتهذب بالتهذيب القرآنى ، ويعرف ما له وما عليه . مما يتعين معه القول بأن التعليم فى الإسلام إجبارى ، وواجب على الفرد ، وحق له فى الوقت نفسه .

فإحياء روح الإنسان وضميره ، وتزكية نفسه ، وتطهير قلبه واجب أول فى الإسلام ، عليه أكثر المعول فى أن يسلك الإنسان سلوكا حسناً فى الجماعة التى يعيش فيها .

وإذا كنا ندرك أثر التعليم العادى فى نفوس الناس ؛ فما بالنا بتعليم القرآن الذى هو أساس لكل الفضائل .

ولكن لا يكفى أن تهذب الشخص ، وتطهر قلبه ، وتزكى نفسه ، وتحيى ضميره لكى يكون إنسانا فاضلا ؛ فإن حاجاته الضرورية التى بها وقاية نفسه تغلبه على الفضائل أحياناً ؛ لذلك قضى أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين بأن يوجد فى الدين من النظم ما تندفع به حاجة الإنسان إلى السرقة . وبمعنى آخر لابد من أن نتأكد قبل أن نعاقب إنسانا أن عذره فى ارتكاب جنايته قد سقط ، وأنه لم يرتكبها إلا بغيا وعدوانا .



وحاجات الإنسان الضرورية هى :

١ — بيت يسكنه يواريه عن أعين الناس ، ويجعله فى أمن من العادين والباغين .
٢ — طعام يحفظ به نفسه .
٣ — ملبس للصيف والشتاء .

وأقول : إن الآيات والأحاديث التى أخذ منها الفقهاء النص على هذه الأشياء الثلاثة تستوجب القول بأنه يجب أن يكون مضمونا لكل إنسان العلاج المجانى من الأمراض متى لم يكن قادراً عليه .

هذه الضرورات لا يحصل عليها امرؤ بالاستجداء ؛ بل لابد من العمل ، ودينه يحضه على ذلك : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » .

وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فلم يعطه ما سأل ؛ بل أعطاه أداة العمل ، ووجهه إليه ، وقال : « ارجع إلى لتنبئنى بحالك » .

فيجب حينئذ على ولى الأمر أن يساعد الناس على إيجاد أعمال لهم ، ويهيئ لهم أسباب العمل ، ويتعهدهم حتى تصلح حالهم .

فإذا كان دخل إنسان لا يكفيه ، أو لم يجد عملا ، أو كان غير قادر على العمل فهو فى كفالة الدولة تمده بأسباب الحياة الضرورية التى بيناها .

أما المال الذى يلزم لذلك فيؤخذ من الزكاة التى جعلها الله فى أموال الأغنياء حقاً للفقراء ؛ فإن لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء أصبح فرضا على كل من عنده فضل من مال أن يعود به على الفقراء حتى يستوفوا حاجتهم .

فإذا منع الفقير حقه فله أن يقاتل عليه ؛ لأن الله يأمر بمقاتلة الباغين : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله » ولا شك أن مانع الحق باغ .

فلما كفل الله عز وجل للفقير حقه ، وأباح له القتال عليه ، كانت العقوبة الهينة مفسدة للمجتمع ولا تتفق مع المسئوليات التى فرضها الله على الناس ؛ فكان جزاء من سرق — بعد أن استوفى حقه — أن تقطع يده ، وليس بعد ذلك توازن فى الحقوق والواجبات : « ومن أحسن من الله قيلا » .

[من مقال للأستاذ « حسن الهضيبى » بالمدد الرابع من السنة الأولى للمسلمون]

بلغت من رق ومدنية ، ونسلكها فى نظام الأمم المتأخرة المتبربرة . وهذا كلام لا يساوى سماعه ولا يستحق أن يرد عليه ، وإنما أملاه على هؤلاء الناس تحللهم من عقدة النظم الاجتماعية وعكوفهم على الإباحية فى كل شىء ، واعتداؤهم على ما ليس لهم من أعراض وأموال ، وتخوفهم من أن يكونوا الضحايا الأولى لتطبيق هذه النظم الحازمة ؛ وما كانت الجريمة فى يوم من الأيام مظهر المدنية ولا الرق ولا كان القانون الذى يستأصل الجريمة ويقضى عليها — مهما كان من شدته — قاسيا ولا رجعياً ، ولكنه عين التقدم ومظهر الارتقاء الصحيح . وهى إحن قديمة ، وأفكار بالية عتيقة ، آن لها أن تنقرض ، وآن للمصلحين ألا يعيروها شيئا من الاهتمام بعد أن رأينا أن الفكرة العامة للتشريع أصبحت متجهة إلى أخذ المجرمين بالحزم واستبدال السبل الرادعة والأحكام الزاجرة بمظاهر الرخاوة القانونية التى ساعدت على انتشار الجرائم فى الأمم ، وجعلت القوانين تكاد تكون عديمة الفائدة فى تهذيب الناس ، وأضاعت على الشعوب كثيراً من الأموال والجهود فى المحاكم والسجون والشرط والموظفين والقضائيين بغير طائل .

نحن نريد النتائج العملية ولا عبرة بزخرف القول وتزويق العبارات .

ويقولون إن ذلك غير ممكن عملا فإن رجال الشريعة الإسلامية لا يحسنون التنسيق الواجب ورجال القانون لا يلمون بالشريعة الإسلامية الإلمام الكامل ، ومتى كان الأمر كذلك فمن يتولى إخراج القانون الإسلامى الجديد للناس فى صورة منسقة وصياغة قانونية تامة ؟ وتلك شبهة واهية كذلك ، والتعليق على هذه الصعوبة من أهون المسائل ، والدعوى غير صحيحة على إطلاقها ؛ فإن من رجال الشريعة الإسلامية من يحسن التنسيق القانونى إلى حد كبير ، ومن هؤلاء الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم (بك) وكيل كلية الحقوق . وإن من رجال القانون من درس كثيراً من مسائل الشريعة دراسة تامة عميقة ، ومن هؤلاء الأستاذ السنهورى . ونسوق ذلك على سبيل المثال ، وإلا ففى رجالنا والحمد لله خير كثير ، وقد اضطلع الأستاذ السنهورى وحده بكثير من هذا العبء يوم دعى لتنسيق القانون فى العراق فأحسن وأجاد .

وأخيراً : يرجف هؤلاء القائلون بفكرة مادية بحتة تدور حول المصالح الشخصية

فيقولون إنكم بهذا تعطلون هذا الجيش من رجال المحاكم الأهلية من قضاة ومحامين ومستشارين محترمين ، وتتعصبون لرجال المحكمة الشرعية على اختلاف أعمالهم ، فتمطون قوما أكثر مما يستطيعون أن يقوموا به وتحرمون الآخرين من كل شيء .

ذلك إلى إنكم ترون أن المحاكم الأهلية أدق نظاما وأعظم فى الإجراءات إحكاما من سابقتها ، فكيف تريدون أن تحملوا المنظم الدقيق على ما هو أقل منه فى ذلك ؟ وهذه مغالطة مكشوفة فليس العلم وقفاً على قوم دون آخرين ، وفى وسع القاضى الأهلى والمحامى الأهلى أن يدرس أحكام الشرع الإسلامى فى بضعة شهور . والنظام فى المحاكم لا يتقيد بنصوص مواد القانون ، وإنما يرجع إلى أسباب أخرى كلها تزول إذا صحت العزائم . على أننا لانريد بهذا الإصلاح تعصباً لناحية بل نريد أن يزول هذا التفريق كله ونقضى على هذا الانقسام فى حياة أمة تسير إلى الوحدة ، ولا قوة لها إلا بالوحدة ؛ فلا محاكم أهلية ولا محاكم شرعية ، ولكن محكمة واحدة إسلامية مصرية على أدق النظم وأحكم الإجراءات ، عماد قانونها شريعة الله وحكم الإسلام .

هذه هى بعض الشبهات التى تقال وقد رأيتم (معاليكم) أنها مردودة بالحجة ، مدفوعة بالبرهان ، وذلك شأن كل شبهة يمليها الهوى ويراد بها الصد عن الحقائق .

لم يبق بعد ذلك عذر (ياباشا) ولهذا يتوجه الإخوان المسلمون إليكم بالرجاء معتقدين أنهم فى ذلك إنما يمثلون الأمة الإسلامية جميعاً بهذين الطلبين :

أولا : أن تسلموا معهم بمبدأ (وجوب العودة إلى التشريع الإسلامى وتوحيد المحكمة المصرية على أساسه من الآن) .

ثانيا : أن تأمروا بإعادة تشكيل لجنة تعديل القوانين الحالية التى يرأسها الأستاذ كامل (بك) صدقى تشكيلا جديداً يحقق هذه الغاية بأن تسند رياستها إلى معاليكم رأساً أو إلى فضيلة شيخ الأزهر أو المفتى الأكبر ، وأن تضم بين أعضائها أكبر عدد ممكن من رجالنا البارزين فى الشريعة الإسلامية من رجال القضاء الشرعى والأزهر الشريف ، وفى القانون الوضعى بفروعه المختلفة ، ولا بأس بأن يكون من بينهم الأستاذ كامل صدقى (بك) .

يا (معالى الباشا) إننا أمة مسلمة وقد وطدنا العزم على ألا نحكم بغير قانون الله وشريعة القرآن الكريم وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم مهما كلفنا ذلك من ثمن ، ومهما بذلنا من تضحيات ؛ وذلك أبسط حقوقنا كأمة لا تمدل باستقلالها في كل مظاهره السياسية والاجتماعية شيئا، فأعينونا على الوصول إلى هذا الحق وارفعوا عنا هذا الحرج ، ولا تلجئوا الأمة إلى سلوك سبيل المضطرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن البنا



قيل — وقال

قيل لأنوشروان . أى علم الوالى أنفع له ؟

قال : أن يعلم أنه لا قدرة له على سدّ أفواه الناس عن عيوبه ومساوئه ، فعند ذلك لا يلتمس إسكاتهم بالوعيد والغلظة ، ولا يلتمس رضاهم وانتقالهم عن ذكر مساوئه وعيوبه إلا بإصلاح تلك العيوب من نفسه ورأيه وأخلاقه .

... شهيد

للأستاذ السيد عمر بهاء الدين الأميرى

ملأ المنابر هدًى ... والميادين كفاحاً

وآذانَ الظالمين ... جلجلةً ... يهدر فيها صوت الحق

وعمر بيوتَ الله إيماناً ... وقلوبَ الناس نوراً

وأصبح الأب المحبوب ... والجاه المخطوب

حتى إذا أكرمه الله بحبه ... ابتلاه

* * *

ابتلاهُ ... فى أعز ما يُبتلى به مثله :

دعوتُه التى أنشأها ... وفنى فيها

وأبناؤه ... الذين عشقهم ورباهم ... وآثر هداهم على كل حظوظ نفسه .

كانت الدنيا تزغرد له ... وهو عنها عزوف

وإذا بها فى طرفة عين ... تقلب له ظهر المجن ... وتسدد إلى حبة قلبه ... أنفذ سهم

* * *

رياحين الأرض والسماء ... من شباب دعوته ...

فى وغى الظلم ... يُنَـكَّلُ بهم أخسّ تنكيل

ودُور الهدى ... والخير ... والجهاد ... تهدم على رؤوس الهدى ... والخير ... والجهاد .

والذين كانوا يحومون حوله ... يتلمسون منه البركات

وقد تزيوا بزى رجال الدين ... وأقحموا أنفسهم على الإسلام ... يتاجرون به

أخذ يظهر منهم . . . وجههم الثانى . . . بل وجههم الأول الصحيح
فيحاربون الرجل وجماعته . . فى بيوت الله التى عمروها
ويَلِغُون فى دمائهم . . . شرها وجشماً . . .
ويأكلون لحومهم نيئة . . بنهم وضراوة

* * *

كَبَّلُوا مِنْ حَوْلِهِ أَبْنَاءَهُ وَرَمَوْهُ بَيْنَ أَشْدَاقِ الْأَفَاعِى
جَرَّدُوهُ خِلْسَةً فى خِسَّةٍ وَتَنَادَوْا ، وَهْوَ فَرْدٌ ، للنِزَاعِ
وَذِئَابُ الْبَغْىِ حَامَتْ ، وَنَضَى كُلُّ نَذْلٍ حَوْلَهُ سَيْفَ الْقِرَاعِ
وَالجماهِيرُ التى مِنْ ذَاتِهِ بَذَلَ الرِّفْدَ لَهَا دُونَ انْقِطَاعِ
حَوْقَلَتْ فى خَوَرٍ وَانْطَلَقَتْ لا تُبَالِى بِجِهَادٍ وَصِرَاعِ
والأُلَى كانوا يَقُولُونَ لَهُ مَلَقاً : قَدْ جِئْتَ بِالأَمْرِ الْمُطَاعِ
خَذَلُوهُ وَبَدَتْ أَوْجُهُهُمْ فِى الْمَلا سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ قِنَاعِ
وَشَرَى البَاغُونَ مِنْهُمْ أَلْسُنَاً بَذَلُوهَا مَا دَعَى لِلمَالِ دَاعِ
فى بُيُوتِ اللهِ سَبُّوا فَنَدَاً خَيْرَ دَاعٍ لِلهُدَى فِيهَا وَرَاعِ

* * *

كلما اشتد عليه الكرب . . . اشتد صبره
وكلما ضُيِّقَ عليه الخناق . . . انفتحت له مع الله آفاق
حتى إذا بلغ من القرب منزلةً . . . لا تنبغى لها حياة الأرض
انطلق فى معارج الأجل . . .
وقد دبر الله له . . . من كيد الكائدين . . . شرفاً رفيعاً
ومن إجرام المجرمين . . . مجداً وخلوداً
. . . وأشرق الله عليه بالشهادة . . .
والجناة لا يعلمون . . . من أمر الله شيئاً .
لقد تركوا دمه الطاهر ينزف . . يريدون أن يُجهزوا عليه . . .

وما دَرَوا . . . أن كل قطرة من دمه

كانت تضع عن كاهله عبئاً . . .

وترتفع به شوطاً . . . فى رحلته إلى النور الصراح

وهكذا . . . أخذ يتصاعد . . .

روحاً سامياً . . . سامياً إلى الله .

* * *

لقد حُرِمَ . . . تشييعَ البشر لجسمه . . . فى الأرض

ولكنه نَعِمَ . . . باستقبال الملائكة لروحه . . . فى السماء .



زينة الجمال

كان فتى من طيء يجلس إلى الأحنف بن قيس وكان يعجبه لحسن وجهه ، فقال له يوماً : يا فتى هل تزين جمالك بشىء ؟

قال : نعم ، إذا حدّثت صدقت ، وإذا حُدِّثت استمعت ، وإذا عاهدت وفيت ، وإذا وعدت أنجزت ، وإذا ائتمنت لم أخن .

فقال الأحنف : هذه مكارم الأخلاق حقاً .

خاطرة :

الأسود الراعى !

كنت أقرأ اليوم فى سيرة ابن هشام ، الجزء الثالث ، فهزّ نفسى حديث الأسود الراعى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وهو ذا :

قال ابن إسحاق :

« وكان من حديث الأسود الراعى فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يارسول الله : اعرض علىّ الإسلام ، فعرض عليه فأسلم — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ويعرضه عليه — فلما أسلم قال : يارسول الله : إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها فإنها سترجع إلى ربها — فقام الأسود ، فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك أبدا ، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأُتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجّى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ! !

قال ابن إسحاق ، وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين ، تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترّب الله وجه من ترّبك ، وقتل من قتلك » .

طيب الله ذكر الأسود الراعى ، وأبلغنا منازل الشهداء .

فى ظلال القرآن

للأستاذ سيد قطب

[نشرت المسلمون الفصول الأولى من « ظلال القرآن » فى أعداد السنة الأولى ، وهذا الدرس نختاره اليوم وهو يتضمن دستور السلم والحرب فى الإسلام لعل البشرية الغارقة فى مجازرها تهتدى به فى الطريق] .

« إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ، ثم ينقضون عهدهم فى كل مرّة ، وهم لا يتقون * فإما تَثْقَفَنَّهُم فى الحرب فشرِّد بهم مَنْ خَلْفَهُم لعلَّهم يذكرون * وإما تَخافَنَّ من قوم خيانة فانبِذْ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين * ولا يحسبن الذين كفروا سَبَقُوا ، إنهم لا يعجزون * وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، تُرهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمُون * وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيَّدَك بنصره وبالمؤمنين * وألَّف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألَّفْت بين قلوبهم ، ولـكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم » .

***

هذا الدرس الأخير من سورة الأنفال يتضمن الـكثير من مبادئ دستور الحرب والسلم فى الإسلام ، ويكشف عن نظرة الإسلام إلى العهود والمواثيق ، ونظرته إلى علاقات الدم وعلاقات العقيدة ، ورأيه فى الجهاد والإنفاق .

ومنه يتبين أن الجهاد فريضة لا تنتظر تـكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وأعدائهم ؛ فحسب المؤمنين أن يُعِدُّوا ما استطاعوا ، وأن يثقوا بالله ، وأن يثبتوا فى المعركة . . والبقية على الله . ذلك أنهم يملـكون قوة أخرى مضمرة غير القوى المادية الظاهرة ، توضع فى الميزان ، ويكون لها الغلب والرجحان . . كذلك يتبين

أن السلم هو القاعدة فى الإسلام ، أما الحرب فطارئة لدفع الباطل وإقرار الحق ؛ ومن ثم يدعو إلى السلم دعوته إلى الجهاد ، ويحافظ على العهد ما وفّى به المعاهدون[1] ، ويؤمّن المخالفين للإسلام فى العقيدة من كل اعتداء غادر من جانب المسلمين ، ويحصر الحرب فى أضيق نطاق تقضى به ضرورة تأمين السلم والحق والعدل ، ويَعُدُّ الناقضين للعهود من عالم الحيوان لا من عالم الإنسان .

* * *

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ، ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » ولفظ الدواب وإن كان يشمل كل ما دبَّ على الأرض فيشمل الأناسى فيما يشمل ، إلا أنه — كما أسلفنا — يلقى ظلا خاصاً حين يطلق على الآدميين ، ظل البهيمية التى تجردهم من آدميتهم ، وتسلبهم خصائص الإنسان المتميزة .

وهؤلاء الذين كفروا ولجُّوا فى الكفر « فهم لا يؤمنون » فتجردوا بذلك من البصيرة ، ومن الصلة بالله التى ترفع من روح الإنسان ، فتتطلع إلى آفاق أعلى من آفاق الأرض . هؤلاء الذين ينقضون كل عهد أبرموه ، فلا يأمن جارهم بوائقهم ، ولا يطمئن إلى اتفاق معهم ، فتجردوا بذلك من خصيصة إنسانية أخرى ، وانطلقوا من قيد الوعد والعهد كما ينطلق الحيوان من كل قيد ، فتستبد به غريزته ، وتصرفه نزواته . أو خلت قلوبهم من الحساسية ومن مراقبة الله ومن المعانى الإنسانية « وهم لا يتقون » . . هؤلاء هم شر « الدواب » عند الله . . وجزاؤهم هو حرمانهم الأمن كما حرموا غيرهم الأمن ، وجزاؤهم هو تخويفهم وتشريدهم ، والضرب على أيديهم بشدة لا تفزعهم وحدهم ، بل تفزع من يتسامع بما حل بهم ممن وراءهم من الأقوام :

« فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

وإنه لتعبير عجيب ، يرسم صورة للرعب المفزع ، الذى يكفى السماع به للشرود

---

(١) فيما عدا حالة استثنائية واحدة هى حالة الجزيرة العربية ، التى سيجىء فى سورة (براءة) نبذ عهود المشركين فيها جميعاً ، وتخليصها من الشرك كافة .

والهرب ، فما بال من يحل به ويشاهده . فهى الضربة المروعة يأمر الله تعالى رسوله — صلى الله عليه وسلم — أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد ، وتحللوا من كلمات الشرف والصدق ، وانطلقوا من قيود الإنسان ، فارتدوا إلى عالم البهيمة ، ليؤمِّن البشرية منهم ، ويرد إلى العهود قيمتها ، وإلى المواثيق حرمتها .

هذه البهيمية ، التى انتكس إليها المشركون فى الجاهلية ، قد انتكست إليها البشرية « المتحضرة ! » اليوم ، فباتت تعتبر المعاهدات قصاصات من الورق ، لا تستمسك بها إلا ريثما تجد الفرصة لتمزيقها ؛ وهى وقَّعتها حين وقعتها راضية ، غير مكرهة ولا مجبرة . فما أقرب حضارة المادة من عهود الجاهلية الأولى ؛ وما أقرب «المتحضرين» الذين ينقضون عهودهم فى يسر إلى عالم البهيمة !



فأما الإسلام فهو يعاهد ليصون عهده ، فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد جهرة وعلانية ، ولم يغدر ولم يخن ، ولم يخدع ولم يغش ، وصارح الآخرين بأنه نقض يده من عهدهم ، وأنه فى حالة حرب معهم :

« وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة من ناحية ، وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة من ناحية . إنه لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق لم تنقض ولم تنبذ ، ولا يروع المسالمين الذين لم يأخذوا حذرهم ، وقد يكونون أبرياء لا دخل لهم فيما بين الفريقين من نزاع . .

فماذا لو ثابت البشرية إلى نهج الإسلام النظيف الشريف العفيف ؟ ماذا لو التزمت البشرية تلك الحدود التى سنها لها الإسلام قبل أربعمائة وألف عام ؟ ماذا لو ارتفعت البشرية إلى هذا الأفق اللائق ببنى الإنسان ، المميز على عالم الوحش والبهيمة ؟ .

إن بعضهم قد يعتذر لحضارة المادة المجردة من الآدمية ، بأن وسائل التدمير الحديثة الهائلة تجعل القيمة الأولى فى الحرب لعنصر المفاجأة . ولكن هذه الوسائل

الجهنمية هى ذاتها التى تحتم إعلان الحرب الصريحة ، ونبذ العهود قبل إعلان الحرب ، ليبعد المسالمون الأبرياء عن هول المجزرة ، فلا يصلاها إلا المحاربون .

وتبقى فرصة الخدعة فى الحرب — لا فى السلم — فالخدعة لا تصبح مباحة إلا بعد أن يقف الخصمان على سواء ، ويعلم كلاهما أنهما أعداء لا أصدقاء . أما بعد نبذ العهد فالحرب خدعة ، لأن كل خصم قد أخذ حذره ، فإذا جازت عليه حيلة خصمه فهو غير معذور به ، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة .

إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتفع ، ويريد للبشرية أن تعف ، ويريد للبشرية أن تخلص من الوحشية والبهيمية ؛ فلا يبيح الغدر فى سبيل الفوز ، وهو يكافح لأسمى الغايات ، وأشرف المقاصد . ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة . فأما حضارة المادة فتدوس هذا كله فى سبيل الغلب . وهى إنما تقاتل لأخس الأطماع ، وأحط الغايات . فالوسيلة من الغاية والغاية من الوسيلة !

إن الإسلام يكره الخائنين الذين ينقضون العهود ، فلا يحب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد ، فى سبيل غاية مهما تكن شريفة . فالنفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ . ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة ، فلا يمكن أن تظل محافظة على الغاية الشريفة . وليس بالمسلم من يبرر الوسيلة بالغاية . فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامى والحساسية الإسلامية ، غريب فى الحرب وفى السلم سواء ، لأنه لا انفصال فى عالم النفس بين الوسائل والغايات . . إن الشط الممرع لا يغرى المسلم بخوض بركة من الوحل . فإن هذا الشط لابد أن تلوثه الأقدام الملوثة فى النهاية !

وفى مقابل هذه النصاعة وهذه النظافة يعد الله المسلمين بالنصر ، ويهون عليهم أمر الكفار : « ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ، إنهم لايعجزون » .

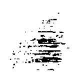
فنبذ عهدهم إليهم ، لن يمنحهم فرصة السبق ، لأن الله عندئذ لن يترك المسلمين وحدهم ، وهم على هداه يسيرون . والكفار أضعف من أن يعجزوا الله حين يطلبهم ، وأضعف من أن يعجزوا المسلمين والله ناصرهم .

فليطمئن أصحاب الوسائل النظيفة — متى أخلصوا النية فيها لله — أن يسبقهم

أصحاب الوسائل الحسيسة . فإنما هم منصورون بالله ، الذى يحققون فى الأرض سنته ، ويعلون فى الناس كلمته ، ويعلّمون الناس بسلوكهم الواقعى مبادئ الحياة الشريفة النظيفة التى يريدها الله للناس ، ليرفعهم من درك البهائم والدواب .

ولكن الإسلام يتخذ للنصر أسبابه الواقعية التى تدخل فى طوق الفئة المؤمنة ؛ فهو لا يعلق أبصار البشرية بتلك الآفاق العالية إلا وقد أمّن لها الأرض الصلبة التى تطمئن إليها أقدامها ، وهيأ لها الأسباب العملية التى تعرفها طبيعتها ، وتؤيدها تجاربها :

« وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » فالاستعداد — بما فى الطوق — فريضة تصاحب فريضة الجهاد ؛ والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ، ويخص « رباط الخيل » لأنه الأداة التى كانت بارزة عند من يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة ؛ ومع ذلك فما يزال رباط الخيل ضرورياً فى كثير من المواقع التى يعسر الوصول إليها بوسائل الحرب الحديثة . والمهم هو عموم النص واتجاهه إلى إعداد كل قوة مستطاعة . ومنها قوة العقيدة والتربية والخلق والتنظيم ؛ فالوسائل المادية وحدها ليست هى التى تفصل فى المعارك . والأعصاب أحياناً تكون هى القوة الفاصلة . وما يثبّت الأعصاب ويقويها كالعقيدة التى تربط القلوب بالله ، وتصل قوة المجاهدين بالقوة الكبرى التى لاتغلَب ، وتمد الأرواح بالينبوع الدافق الذى لاينضب . . .



ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة ، فالنص يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وإذن فليس المقصود إعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء ، وفريضة الجهاد لا تنتظر حتى يتم إعداد قوة مماثلة .. إن ذلك أمر يطول ، وقد لا يجئ أبداً . ولو انتظر المسلمون بغزوة بدر حتى تتكافأ قوتهم وقوة خصومهم ماقام الإسلام . إنما هى الحفنة المؤمنة استمدت بقدر مااستطاعت ، ثم خاضت المعركة فكان فيها الفرقان .

كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة . وهو إلقاء الرهبة فى قلوب أعداء الله وأعداء المسلمين ، المعلومين منهم للمؤمنين والمجهولين . وكم للإسلام

من أعداء لا يعرفهم المسلمون ، ولا يظهرون إلا فى ساعات ضعفه وحرجه وضيقته . هؤلاء تُرهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد إليهم ، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء مرهوبين فى الأرض ، ليقيموا شريعة الله ، ويعلوا كلمته .. وكلمة الله هى الحق والعدل والحرية للجميع .

« وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون » . . من شىء من دم أو جهد أو مال أو وقت . « فى سبيل الله » لا فى سبيل المجد والجاه ، ولا فى سبيل الظهور والاستعلاء ، ولا فى سبيل الحمية والعصبية « يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وهكذا يجرد الإسلام الجهاد من كل غاية أرضية ، ومن كل دافع شخصى ، ليتمحض خالصاً لله ، لتحقيق كلمة الله ، ابتغاء رضوان الله .

ومن ثم ينفى الإسلام من حسابه — منذ الوهلة الأولى — كل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق ! وكل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدولات ، وكل حرب تقوم للقهر والإذلال ، وكل حرب تهدف إلى تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس أو وطن على وطن .. وتستبقى نوعاً واحداً من الحرب هى الحرب الفاضلة لإعلاء كلمة الله . وكلمة الله لا تحابى جنساً ولا وطناً ، ولا شعباً ولا طبقة ولا أسرة ولا شخصاً . إنما تحكم فى البشر مقياساً واحداً لا يتبدل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وتريد للبشر خيراً واحداً لا يتعدد : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

تلك صفحة فى كتاب الإسلام ، صفحة الجهاد ، تقابلها الصفحة الأخرى ، صفحة السلم لمن يجنح إلى السلم ويختار المهادنة : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم » .

والتعبير عن الميل إلى السلم بالجنوح تعبير لطيف يلقى ظل الدعة الرقيق . فهى حركة جناح يميل إلى جانب السلم ، ويرخى ريشه فى وداعة واطمئنان ، فإذا الجو من حوله طمأنينة وسلام .

فهؤلاء الذين يشهرون على الإسلام حرباً شعواء . هؤلاء الذين يتربصون بالمؤمنين

الدوائر . هؤلاء الذين آذوا المسلمين أشد الإيذاء . هؤلاء إن جنحوا للسلم فاجنح لها .. إنه دين السلام الذى لا يحارب إلا لرد البشرية إلى السلام القائم على العدل والحق والحرية والفضيلة والكرامة لكل بنى الإنسان .

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ولا تخف أن يخدعوك بهذا الجنوح ويبلغوا منك بالخداع مالم يبلغوه بالقتال . ولا يمنعك خوفك من خداعهم أن تقبل منهم سلمهم ، فإن الله عندئذ سيحميك منهم كما حماك :

« وإن يريدوا أن يخدعوك ، فإن حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

حسبك الله ، فهو يكفيك . وهو أيدك بنصره أول مرة ، وأيدك بالمؤمنين الذين صدقوا الإيمان . وجعل لك منهم قوة موحدة بعد أن كانت قلوبهم شتى ، وعداواتهم جاهرة ، وبأسهم بينهم شديداً : « وألف بين قلوبهم » بذلك التعبير اللطيف . فإذا هى أليفة جميعة متعارفة على شدة ما كان بينها من نفار وشقاق ، وعلى استعصائها على التجميع والتأليف : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » وهو تعبير عن الاستحالة مرتين : استحالة إنفاق ما فى الأرض جميعاً لأن إنساناً ما لا يملك ما فى الأرض جميعاً ، ولو ملكه فتحقق المستحيل الأول لاستحال التأليف بين تلك القلوب ! « ولكن الله ألف بينهم » هكذا فى يسر وسهولة واختصار ، فإذا المستحيل واقع فى ومضة وفى جملة واحدة من أربع كلمات ! « إنه عزيز حكيم » ، فهو عزيز قادر على تحقيق المستحيل فى عرف الناس ؛ وهو حكيم يحقق ذلك لما وراءه من حكمة تراد .

إن سمة هذه الأمة المسلمة — حين تدرك روحها حقيقة الإيمان وتخالطها بشاشته — هى الحب والألفة ومودات القلوب التى تلين جاسيها ، وترقق حواشيها ، وتندى جفافها ، وتربط بينها برباط وثيق عميق رقيق ، فإذا نظرة العين ولمسة اليد ونطق الجارحة وخفقة الفؤاد .. ترانيم من التعارف والتعاطف والتجاوب والمناجاة .

والإسلام يهتف للبشرية بنداء الحب ، ويوقع على أوتار القلوب ألحانه العذاب . فتستجيب إليه حين تخالطها نداوة الإيمان .

يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « إن من عباد الله لأناساً ماهم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى . قالوا : يارسول الله تخبرنا مَنْ هم .. قال هم قوم تحابوا بروح الله بينهم ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، والله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور : لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس(١) » .

ويقول : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الحق تبارك وتعالى : « أين المتحابون فيّ ؟ أين المتزاورون فيّ ؟ أين المتجالسون فيّ ؟ اليوم أظلهم بجلالي يوم لا ظل إلا ظلي » .

ويقول : « إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم ، فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ذنوبهما ، ولو كانت مثل زبد البحار(٢) » .

(يتبع)

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) رواه الحافظ الطبراني — بإسناده — عن سلمان الفارسي .

العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

ليست قوة الأمة وحدها هى أساس عظمتها وجدارتها بالصدارة فى الحياة ، فكثير هى الأمم القوية التى ذهبت مع الريح وعفى عليها الزمن حين أصيبت بالفرقة فى الرأى والنزاع على متاع هذه الحياة الدنيا !



لكن قوة الأمة والمقياس الأول لعظمتها وصلاحيتها لمقام الصدارة والتوجيه فى هذا العالم ، هو فى أن تكون على « عقيدة » حقة ، وأن تجرى هذه العقيدة فى قلوب أبنائها مجرى الدم ؛ فلا تعيش إلا بها ولها ، وتجعلها تلاقى الصعاب فى سبيلها ، فإذا هذه العقيدة كالسيل الأتىّ يجرف كل ما يعترضه فى سبيل سيره دائماً إلى الأمام ، وإذا بالأمة صاحبة هذه العقيدة تظهر وتبهر العالم بما تأتى به من جلائل الأعمال فى مختلف نواحى الحياة .

وقد عرف الرسول ، عليه صلوات الله وسلامه ، هذه الحقيقة فالتفت إليها أول أمره ، وعنى بها عناية شديدة . نعم ! لقد ظهر أول ما ظهر بدعوته الإلهية فى أمة نالت منها الفرقة فى الرأى نيلا كبيراً ، ومزقتها الأهواء ، وفسدت فيها كل موازين الحياة فى نواحى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

ولكنه صلى الله عليه وسلم ، مع حاجة العرب للإصلاح فى كل هذه النواحى ، لم يجعل همّه قبل كل شىء إلا فى تصحيح عقيدة هذه الأمة ، مؤمنا كل الإيمان بأنه إن وصل من ذلك إلى ما يريد الله فقد وصل إلى الإصلاح فى كل ناحية ، وقد دان لهذه الأمة العالم كله ، وهكذا كان له ما عنى به أولاً ، وأتم الله عليه وعلى العرب

نعمته ، فاعتنقوا دعوته وآمنوا بعقيدته ، ففتحوا العالم بأسره وقادوا الإنسانية إلى منازل العزة والكرامة والحياة المجيدة .

نعم ! لقد بدأهم أول ما بدأ بأن يتركوا عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ، والتى جعلتهم أوزاعاً متفرقين ؛ وألا يعبدوا إلا الله وحده « بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » ، الله الذى « لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » ، الله « الذى له مُلك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدَّره تقديراً » .

هكذا ، بدأت دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين بالأمر بعبادة إله واحد ، بدل ما كانوا عليه من عبادة أوثان وأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئاً ، أوثان وأصنام وأناس من دون الله « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » !

ومن الطبيعى أن لقى الرسول فى سبيل هذه العقيدة مالقى ، وأن تلقى القلة الأولى التى آمنت بها مالقيت من ضروب الاضطهاد والعذاب والتنكيل ، ولكن هذا كله مازادهم إلا إيمانا بها وتسليما لله وصبراً على مانالهم فى سبيلها ، حتى إنه لم يؤثر عن التاريخ الصادق أن أحداً ارتد عن هذه العقيدة بعد أن خالطت بشاشتها القلوب ، بل إن هؤلاء الذين سارعوا إلى الإيمان كانوا يزيدون ولا ينقصون . وحسبنا فى هذا أن نشير إلى ما كان من مقابلة سفيان بن حرب ، وكان لايزال على الشرك ، لهرقل امبراطور الروم ، وكان ما كان بينهما من أسئلة من هرقل وإجابات عنها من أبى سفيان ، وكان من هذه الإجابات أن أتباع الرسول يزيدون ولا ينقصون ، وأنه لايرتد أحد منهم عن الإسلام سخطة لدينه ، فكان من قول هرقل : « وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب » !

وحين تم للرسول صلى الله عليه وسلم ما أراده الله من أمره ، وظهرت عقيدة ألا لاإله إلا الله وحده ، واستقرت فى قلوب أتباعه الأكرمين ، بعد أن استأصل الله منها ما كان فيها من عقائد فاسدة ضالة ، كان أن حصل أعظم انقلاب فى البشرية عرفه التاريخ ، وكان أن انحلت العقدة الكبرى التى كانت تصد العرب عن حياة

المجد والعظمة التى تقوم على أسس قوية ثابتة ، وكان أن صار هؤلاء العرب على غير ما كانوا عليه فى كل نواحى الحياة .

لقد كانوا فى ناحية العقيدة موزعى القلوب والأفئدة بين آلهة متعددين ، حتى لقد اتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه ؛ فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسَّح به حين يركب ، وإذا قدم من سفر تمسح به قبل أن يدخل على أهله . ولهذا ، لما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوحيد ، قالت قريش كما حكى عنهم القرآن الكريم فى سورة ص المكية : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا الشىء عجاب[1] » !

وكانوا بسبب تلك العقائد الضالة متفرقين بعضهم لبعض عدو ، حتى استذلهم كسرى وقيصر ، إذ لم تكن بينهم وحدة جامعة تؤلف بينهم وتدفعهم إلى غاية واحدة مرسومة واضحة . كما كانوا جفاة غلاظ الأكباد والقلوب ، يعيش أكثرهم على سلب الضعيف ، ويتمدحون بالغارات الظالمة ، ويتفاخرون بالقوة العاتية التى لا تجد من يوجهها إلى خير .

كانوا كذلك وشراً منه كما نعرف جميعاً ، فماذا صاروا إليه وقد عمرت قلوبهم بالإيمان وحده ، وقد صارت لهم عقيدة واحدة تتبلور فى عبادة إله واحد والإيمان برسول وإمام واحد ؟ كيف صاروا حين أصبحت هذه العقيدة يصدع بها المؤذن للصلاة خمس مرات فى اليوم الواحد ؟

إنهم صاروا خلقا آخر فى كل شىء : صاروا هداة مهديين بعد أن كانوا ضُلَّالا ضالين ، صاروا أمناء صادقين فى كل أمورهم وأحوالهم ، صاروا رقاق القلوب رحماء بينهم يتقون الله حق تقاته ، هانت الدنيا وجبابرتها عليهم بعد أن استعزوا بالله وحده ، صاروا أعزة بعد ذل ، وسادة وكانوا مسودين ، صاروا يتواسون فيما بينهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . . . صاروا قادة العالم إلى كل خير ، وهداة البشرية إلى حياة العز والشرف والمجد ، وكل ذلك صاروا إليه بعد أن هُدُوا

---

(١) سيرة ابن هشام ، ج ١ : ٨٦ — ٨٧ .

إلى العقيدة الحقة واستمسكوا بها استمساكاً شديدا ، وبعد أن صاوروا يحبون الله ورسوله أكثر مما يحبون أنفسهم وأبناءهم وكل عزيز لديهم .

ومن الخير أن نسوق لهذا وذاك بعض الأمثال من التاريخ الصادق الأمين ؛ ففى الأمثال عظة وذكرى لقوم يعقلون ، وما أحفل تاريخ الإسلام بهذه الأمثال !

١ — كان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم من أشد الناس على الرسول والمسلمين ، حتى إنه خرج يوما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى رهط من أصحابه فى بيت عند الصفا ، فلقيه نُعَيْم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابئ ، الذى فرَّق أمر قريش وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها ، فأقتله . فقال له نعيم : لقد غرَّتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم من أمرهم ؟! .

وهنا ، يذكر ابن هشام خبر ذهابه إلى أخته وزوجها وعندها خبّاب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة « طه » يقرئهما إياها ، ثم بطشه بأخته وزوجها ، وأخيرا تفتح قلبه للإسلام وعقيدته وذهابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صحبه مجتمعين فى استخفاء ، وقول الرسول له بعد أن جَبَذه جَبْذة شديدة : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة » ! فقال عمر : يا رسول الله ، جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله . فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف منها مَن فى البيت أن عمر أسلم ، فاطمأنوا وأيقنوا أن الله سيعز به الإسلام .

ثم يرينا ابن هشام كيف صار عمر وقد دخلت العقيدة الحقة قلبه ، وأنه لم يرض إلا أن يعلن إسلامه لقومه لا يبالى ما يكون منهم ، فكان أن ثاروا به ، وقاتلوه وقاتلهم قتالا شديدا حتى زجرهم عنه العاص بن وائل السهمى خشية ما يكون من قبيلته التى لم تكن لتسلمه لقريش حمية وأنفة[1] .

---

(١) سيرة الرسول لابن هشام ، ج ١ : ٣٦٥ — ٣٧١ .

٢ — صار المسلم ، وقد اعتز بعقيدة الإله الواحد الأحد ، لا يبالى غير الله ورسوله ، ولا يخاف أحدا من ملوك العالم وجبابرته . وفى هذا يذكر ابن جرير الطبرى[1] أن المغيرة ابن شعبة ، حين عبر القنطرة إلى أهل فارس وذهب للقاء كبيرهم « رستم » ، وعليه وعلى أصحابه التيجان والثياب بالذهب ، لم يهب قط شيئا من ذلك ، واجتاز إليه حتى جلس معه على سريره ووسادته ، فثار به القوم لجرأته ووثبوا عليه وأنزلوه عن السرير . فكان أن سخر المغيرة منهم ومن كبيرهم ، وعاب عليهم أن بعضهم أرباب بعض ، على غير ما عليه العرب وقد هداهم الله إلى الإسلام .

٣ — وبعد أن كان العرب يقاتل بعضهم بعضاً فى سبيل الحقير من مُتَع هذه الحياة الدنيا ، نراهم بعد أن ملأت عقيدة الإسلام قلوبهم وأنفسهم لا يطلبون إلا رضوان الله وحده ، فهانت عليهم الدنيا ، وحُبِّبت إليهم التضحية فى سبيل ما اعتقدوه حقا . هذا سعد بن معاذ يستشهد يوم « أُحُد » وبه بضع وثمانون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ثم لم يرض المشركون حتى مثلوا به ، فما عرفه إلا أخته ببنانه .

ويروى الإمام مسلم فى صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يوم « بدر » : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » ، فقال عُمَيْر بن الحمام الأنصارى : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم ، قال : بخ بخ ، قال رسول الله صلى الله عليه : « ما يحملك على قولك بخ بخ » ؟ قال : لا والله يا رسول إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر وقاتل حتى قتل رضى الله عنه .

٤ — وهذا العربى الذى حكمت عليه بيئته الطبيعية القاسية أن يكون قاسى القلب حتى على بنيه ، فإنه كما نعرف ليدفن بعضهم أحياء ، جعله الإسلام يستعذب التضحية بنفسه وبنيه فى سبيل عقيدته والرسول الذى جاء بها .

هذه امرأة من الأنصار رضوان الله عليهم ، كما يرويه ابن إسحاق وغيره من

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ : ١٠٨ .

رجال السيرة والحديث ، رزئت بأعظم ما يصاب به إنسان يوم « أحد » ، فقد قتل أبوها وأخوها بعد زوجها مع الرسول صلوات الله عليه ، وهل بعد الزوج والأخ والأب من يُبكى عليه ؟ ! ولـكنها لم يذهلها هذا الرزء الفادح ، فقد كان همّها أن تسأل : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! .

وبعد هذا غيض من فيض مما يكون من أثر العقيدة الحقة فى أصحابها ، فإن فسدت هذه العقيدة كان ذلك إيذاناً من الله بانقلاب الحال وتبدله إلى شر ، سواء أكان ذلك فى العقائد الدينية أو السياسية ، والمثل الصادقة بين أيدينا .

وسنعالج أثر فساد العقيدة أو انحرافها فى الناحية الدينية والوطنية فى كلمة أخرى مستقلة إن شاء الله تعالى .



وجوه الـكلام

الـكلام أربعة وجوه :

فمن الـكلام كلام ترجى منفعته وتخشى عاقبته ، فالأفضل فى هذا السلامة منه .

ومن الـكلام كلام لا ترجى منفعته ولا تخشى عاقبته ، فأقل مالك فى تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك .

ومن الـكلام كلام لا ترجى منفعته وتخشى عاقبته ، وهذا الداء العضال .

ومن الـكلام كلام ترجى منفعته وتؤمن عاقبته ، فهذا الذى يجب عليك نشره .

« إبراهيم بن أدهم »

كارثة فلسطين

الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

(٢)

أشرنا فى مقالنا السابق إلى أن الفكرة الصهيونية كانت تبدو فى نظر كثير من الساسة على أنها وهم أو حماقة ، وهى كانت كذلك حتى فى نظر كثير من اليهود أنفسهم ؛ ولكن هذه الفكرة قد تغيرت وانقلبت إلى حقيقة كبيرة ، وأخذت صورة مشروع عملى يوضع موضع التنفيذ والتطبيق ، وذلك على أثر — وبسبب — التصريح الخطير الذى أعلنه وزير خارجية إنجلترا «لورد بلفور» فى مجلس العموم يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ — وهو يوم ينبغى أن لا يُنسى فى تاريخ الشرق العربى الحديث — فإن مؤدى ذلك التصريح كان هو أن إنجلترا قد أعلنت انضمامها إلى اليهود ، وقد أخذت على نفسها العهد بأن تسعى وتجتهد ، ما وسعها الجهد ، فى أن تحقق لهم آمالهم غير المشروعة فى « فلسطين » على حساب العرب سكانها الأصليين .

كانت إنجلترا فى ذلك الوقت قد أوشكت أن تخرج من الحرب ظافرة ، وهى معتمدة بقوة حلفائها ، وقادرة على أن تملى شروطها . وقد أعلنت هذا التصريح قبيل دخول الجنرال « أللنبى » القدس بمدة قصيرة ، فكان ملخصاً للسياسة التى ستتبعها عند احتلال « فلسطين » ، وكان هو الذروة التى انتهت إليها المؤامرة التى ظل اليهود والمستعمرون يدبرونها ويحكبون خيوطها طوال سنىّ الحرب ، يقصدون من ورائها تمزيق وحدة العالم الإسلامى وتقسيم شعوبه وأوطانه ، بين المستعمرين والمشردين الأفاقين . . .

كان صدور ذلك « التصريح » فى صورة خطاب وجهه الوزير البريطانى — الذى كان على اتصال دائم بزعماء اليهود الرأسماليين فى أمريكا وأوربا — إلى لورد « روتشيلد » زعيم الصهيونيين الإنجليز ؛ وقد كان نصه كالآتى :

[عزيزى اللورد روتشيلد :

يسرنى سروراً كثيراً أن أُنهى إليك — نيابة عن حكومة جلالته — التصريح الآتى الذى يعلن العطف على المطامح اليهودية . وقد عُرض هذا التصريح على الحكومة البريطانية ، فوافقت عليه :

إن حكومة « جلالته » تنظر ، بعين الاستحسان ، إلى إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى . وستبذل أعظم جهودها لتسهيل تحقيق هذا المشروع] .

ثم أضيف إلى ذلك قيد لم يكن يقصد به — كما برهنت الحوادث عليه فيما بعد — غير التمويه والتغرير تخديراً لشعور العرب ليستكينوا لما يراد بهم ، فكانت بقية الخطاب :

[على أنه مفهوم بوضوح أنه لن يُعمل شىء يمس الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية التى توجد الآن فى فلسطين] .

— هكذا كان التعبير المقصود به الإشارة إلى العرب —

[ولا الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر .

وأكون معترفاً بالشكر إذا تفضلت بأن تُبْلغ هذا التصريح إلى الاتحاد الصهيونى] .

هكذا قررت إنجلترا بنفسها مصير فلسطين ، واعترفت بـ « الوطن القومى » — هذا التعبير الغامض اللولبى — قبل وجوده ، متجاهلة إرادة الشعب الفلسطينى ، ومتصرفة فى أرض غيرها ، كأنها مالكتها الأصلية تمنحها لمن تشاء حتى لقوم غرباء لم يفدوا بعد . وإذا بحثنا عن الدوافع التى دفعت الإنجليز إلى عقد هذا التحالف الوثيق مع « الصهيونية » وجدناها مختلفة : فقد كان هناك الغرض الاقتصادى وهو سعيهم إلى الحصول على أموال اليهود لتساعدهم فى إبان الحرب وبعدها ، ورغبتهم فى تأمين

طريق « البترول » إلى حيفا ؛ والغرض السياسى وهو إيجاد قاعدة لهم فى قلب الشرق الأوسط يرتكز عليها نفوذهم ، والغرض « الاستراتيجى » وهو تكوين منطقة حراسة تؤمن احتلالهم لقناة السويس وسيطرتهم على شرق البحر الأبيض ؛ ولكن إلى جانب هذا كله كان هناك الغرض الدائم والأعم ، وهو الغرض المتصل بتطور الأحداث التاريخية بين الغرب والشرق ، والذى يحدد طبيعة العلائق بينهما : وهو إرضاء ما هو مستقر فى نفوس الإنجليز وغيرهم من الدول الأوربية المستعمرة ، من غريزة الكراهية ونازعة الحقد على الإسلام وأهله : حقد دفين ناتج عن تعصب وروح « صليبية » موروثة ، تدفع الغربيين إلى أن يعملوا دائماً على توهين قوته وتبديد شمل أهله ، حتى يسهل عليهم إما القضاء على شعوبه ، أو إبقاؤهم يرسفون فى قيود الاستعباد قروناً ، وهم يتصرفون فى أمورهم كما يشاءون !

وإذا كانت « إنجلترا » هى التى بدأت بحمل هذا الوزر ، وهى المسئولة أولاً عن خلق تلك المأساة المفجعة التى قل أن كان لها نظير فى تاريخ الإنسانية ، وهى التى ينظر إليها التاريخ إذن على أنها الأم التى ألقت إلى العالم بهذا المولود غير الشرعى ، الذى يحمل فى وجهه كل علائم القبح وسمات الشذوذ ؛ فإن الدول الغربية الأخرى كانت موافقة على مسلكها الآثم ، وبادرت بالاعتراف بهذا المولود غير الشرعى : فصادقت فرنسا على « التصريح » ، وتبعتها إيطاليا ، فى خلال عام ١٩١٨ ، كما أن الرئيس « ولسن » — رئيس الولايات المتحدة — وهو هو الذى نادى بمبادىء تقرير المصير وحقوق الشعوب وما إلى ذلك ، أعلن اغتباطه بصدور التصريح . وما كاد مؤتمر « الصلح » ينعقد عقب الحرب — وهو المؤتمر الذى رُفض وفد مصر أن يتقدم إليه — حتى أذنت تلك الدول لوفد « صهيونى » أن يمثل أمامه ويقدم مطالبه ، فتم ذلك فى فبراير سنة ١٩١٩ ثم قرر « مجلس الحلفاء » الذى انعقد فى « سان ريمو » فى أبريل سنة ١٩٢٠ انتداب إنجلترا على فلسطين ، وأن تكون هى المسئولة عن تنفيذ « التصريح » بإقامة الوطن القومى لليهود .

ولما تكونت « عصبة الأمم » وافق مجلسها فى اجتماعه المنعقد فى « لندن » فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ على وثيقة « الانتداب » وشروطه التفصيلية ، وكان وعد « بلفور » فى

رأس تلك الوثيقة . والقارئ لشروطها يراها تنطق نطقاً صريحاً بأنها وثيقة صهيونية محضة ، كتبها أو أملاها اليهود أنفسهم ، ثم صدقت عليها إنجلترا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا وبقية الدول . فقد صدر بها الوعد كأنه قرار دولى ، واعترفت المادة الرابعة منها بـ « الوكالة اليهودية » ، ونصت على أن الغرض منها أن تنصح وتعاون الإدارة بفلسطين فى كل ما له علاقة بإنشاء الوطن القومى لليهود ، وقررت أن واجب الإدارة فى فلسطين أن تيسر هجرة اليهود إليها ، إلى غير ذلك مما يحقق الأهداف الصهيونية تحقيقاً تاماً .

وفى نفس العام ١٩٢٢ وافق « الكونجرس » الأمريكى — بمجلسيه — على « التصريح » وكانت الهيئات اليهودية الأمريكية تتعاون تعاوناً وثيقاً مع الصهيونيين فى فلسطين وفى كل مكان .

بدأ تنفيذ « الانتداب » — وهو ليس إلا كلمة أخرى للاحتلال المسلح العدوانى — بعد مصادقة « عصبة الأمم » عليه ، منذ سنة ١٩٢٣ . ولكن إنجلترا بالاشتراك مع الصهيونية كانت قد بدأته منذ دخول جيشها أراضى فلسطين عام ١٩١٨ ، هذا الجيش نفسه الذى كان متحالفاً مع العرب ، وأمكن له الظفر بمساعدة « الفيلق العربى » الذى كان يقوده « فيصل » و « عبد الله » ابنا « الحسين » ، والذى مهدت له الطريق سواعد العمال العرب ، وكانت مصر قاعدته للتموين والعمليات الحربية . وكان رمز هذا التنفيذ أولاً تأسيس « الجامعة العبرية » بالقدس فى عام ١٩١٨ ، التى سيحضر « بلفور » بنفسه فيما بعد لافتتاحها ، ثم أخذت « حكومة الاحتلال » منذ الساعة الأولى تعمل بهمة ونشاط ، وتتخذ الوسائل لإنجاز المشروع الصهيونى ، وذلك بإرشاد اليهود إذ كانت « الوكالة الصهيونية » قد قدمت فلسطين على إثر الاحتلال ، كما تبعتها جماعات أخرى عديدة من التى عُرفت بشدة التعصب . وكانت الوسائل الرئيسية الكبرى لتحقيق أهدافهم ثلاثة :

١ — الهجرة .

٢ — شراء الأراضى .

٣ — تأسيس المستعمرات الزراعية والصناعية .

أما الهجرة فكانت غايتهم أن يغرقوا فلسطين بالوفود المهاجرة حتى تكون لهم الكثرة العددية . وكان هذا هو الخطر الأكبر على أهل البلاد إذ أن به يتم تهويد أرضهم ، ولذا كان المشكلة الرئيسية . وفتحت الإدارة الإنجليزية الباب على مصراعيه ، وشجعت الوكالة اليهودية والهيئات التابعة لها فى أوربا الهجرة بكافة الوسائل ، وكان هناك الرصيد الدائم من الأموال ييسر للنازحين الطرق ؛ فلولا مقاومة الأهلين على قدر ما كان فى استطاعتهم ، ولولا ارتباط الهجرة بمدى التقدم الاقتصادى ، لبلغت نسبتها درجة أضخم وأخطر مما كانت . ومع ذلك فإن نسبتها كانت عالية جاوزت كل حد متوقع : فلقد كان تعداد اليهود فى فلسطين عقب نهاية الحرب العالمية الأولى لا يزيد إلا قليلا على خمسين ألفاً ، فإذا به فى عام ١٩٢٢ يبلغ ٨٤ ألفاً ، ثم فى عام ١٩٢٥ يصل إلى ١٠٨ ألف ، ثم زاد حتى بلغ فى عام ١٩٢٧ ١٥٩ ألف . فكان عدد المهاجرين فى أقل من عشر سنوات مائة ألف يهودى منهم ٣٣٫٨٠٠ ألف فى سنة ١٩٢٥ فقط . ثم تضاعفت نسبة المهاجرين بعد عام ١٩٣٣ فى أثناء حكم النازيين لألمانيا . وكان أكثر المهاجرين من بولندة ، ثم من ألمانيا وروسيا ورومانيا ، حتى إن عدد المهاجرين من بولندة وحدها بين سنتى ١٩١٩ و ١٩٣٧ كان ١٣١٫٢٤٩ ألف ، وذلك كله بتعضيد وترحيب الإدارة البريطانية .

وسارت حركة شراء الأراضى جنباً إلى جنب مع حركة الهجرة . وكانت خطورتها البالغة من الناحيتين : القانونية والاقتصادية . وساعدت الظروف السيئة التى كان يعيش فيها أهالى فلسطين على نشاط هذه الحركة ، كما أن الأموال لم تكن تعوز اليهود ، فقد هاجر كثير منهم برءوس أموال كبيرة ، كما كانت هناك الأرصدة التى خصصت لهذا الغرض .

وبذل الصهيونيون أعظم النشاط ، واستخدموا خبراتهم ومعارفهم الفنية إلى أقصى حد ، لتأسيس المستعمرات الزراعية والصناعية حتى كثر عددها وأحرزت قدراً من النجاح . وكانت حكومتا الاحتلال فالانتداب متحيزة لهم دائماً — وهذه هى الحقيقة التى يسجلها التاريخ — تحابيهم وتؤثرهم بكل شىء — ولا غرو فهى ما وجدت إلا لخدمتهم — فما أعطتهم ، مثلا ، امتياز « الكهرباء » — وهو مورد

اقتصادى هائل — واستخراج البوتاسيوم من البحر الميت ، وما عدا ذلك . وهكذا استمرت المؤامرة الصهيونية الإنجليزية ضد أهالى فلسطين فى طريقها . . .

هذه هى أعمال « إنجلترا » فى فلسطين منذ عام ١٩١٨ ، وهى تثبت بكل وضوح وجلاء إن الانتداب الذى أعطتها إياه جمعية المستعمرين التى كانت تسمى « عصبة الأمم » لم يكن إلا ستاراً لإنفاذ أبشع صفقة عرفها التاريخ : هى صفقة بيع شعب بأسره لشراذم من وافدين غرباء ، نظير رشاوى من أموال وامتيازات سياسية ونحو ذلك ، ولقد نُفذت باسم ما أسموه « القانون الدولى » ! ! وفى بداية الأمر لم يتبين شعب فلسطين حقيقة المؤامرة التى حيكت له ، ولم يدرك خطورة الأهداف التى ترمى إليها ؛ وكانت الأمة العربية أيضاً فى ذلك الوقت مشغولة برد العدوان الأوروبى الذى داهمها أو شدد قبضته عليها عقب الحرب ؛ ثم إذ أخذت الحقيقة تتكشف رويداً رويداً ، ورأى أهل البلاد وفود المهاجرين وسيول الأموال تتدفق على أرضهم ، فأيقنوا أن وطنهم فى خطر ، هبوا للدفاع عن كيانهم ! وكان سخط الفلسطينيين وحنقهم مستمراً ، فقاموا بثورات متعاقبة فى أعوام ١٩٢٠ و١٩٢٥ و ١٩٢٩ و١٩٣١ قابلها الإنجليز بمنتهى العنف والقسوة : بالسيف والنار ! ثم لم يجدوا بداً من القيام بثورتهم الكبرى فى عام ١٩٣٦ . وكان الوعى العربى فى ذلك الحين قد أخذ ينمو وينتشر ، فأدركت شعوب العرب أن المؤامرة تشملهم جميعاً ، وأن الخطر على الأبواب ، وأن ضياع فلسطين هو ضياع للوطن العربى بأكمله ، وأن المؤامرة ليست ضد العرب فقط بل ضد الإسلام والشرق ، فأصبحت قضية فلسطين هى قضية الأمة العربية بأسرها ، بل قضية الإسلام .

وسنتابع القول — إن شاء الله — فى شرح هذا الدور الأخير للقضية فى مقالنا القادم .

كلمة صغيرة

الأستاذ على الطنطاوى

المستشار بمحكمة النقض السورية

ماذا يصنع أهل الأسرة الواحدة ؟ يقيمون جميعا فى دار واحدة ، ويأكلون على مائدة واحدة ، ويصبحون معاً ويمسون معاً ، يتبادلون الحب والودّ ، يعطفون على المريض ، ويسألون عن الغائب ، ويقومون صفا واحداً فى وجه الأحداث والمصائب .

أليست هذه هى صفة الأسرة ؟ نحن إذن أسرة واحدة !

* * *

هذا ما قلته لنفسى ونحن فى المؤتمر(١) ، معنا المراكشى يتحدث بلهجته الناعمة المهموسة ، والجزائرى بلغته الشديدة القوية ، والتونسى وهو فى رنّته بين بين ، فيها من لين فاس وقوة تلمسان ، والمصرى بهذه اللهجة الحلوة ، والعراقى وفى لغته الرجولة والأيْد ، والشامى واللبنانى ، والأردنى والفلسطينى ، وإخوان من إيران وكردستان والأفغان والباكستان وأندونيسيا والقفقاس ، وما لست أذكر الآن نحو سبعين رجلا ما التقوا من قبل ، ولاسمع بعضهم بأسماء بعض ، لكل واحد منهم زى غير زى الآخر ، ولسان غير لسانه ، وملامح غير ملامحه ، ولو تعمدت أن تجمع الأشتات من الناس والأضداد (فى الظاهر) من البشر ، لما جئت بأعجب من هذه المجموعة . . .

. . . ولكن هذه المجموعة ، أقامت فى فندق واحد ، وأكلت على مائدة واحدة ، وقامت للصلاة صفا واحداً ، وراء إمام واحد . ومرض قوم (وكنت ممن مرض) فعطفوا عليه جميعا ، ومات واحد فحزنوا عليه جميعا ، وأحسّ كل فرد منها منذ الساعة الأولى ، بأنه مع إخوان له ، يعرفهم منذ الأزل ويعرفونه ، ويحبهم ويحبونه .

---

(١) المؤتمر الإسلامى العام لإنقاذ فلسطين ، الذى انعقد بالقدس فى ربيع الثانى من هذا العام (انظر « فى أفق العالم الإسلامى » من العدد الثالث ، السنة الثالثة من « المسلمون ») .

التحرير

فكيف تحققت هذه المعجزة ؟

كيف اختصرت فى هذا الفندق ممالك الإسلام كلها ، فكانت أسرة واحدة ، تتمنى أكثر الأسر ، التى يجمع بينها الدم والنسب ، أن يكون لها بعض ما كان لهذه الأسرة ، من جوامع الحب ، وروابط الوداد ؟

كيف تهاوت فى لحظة حواجز اللسان والبلدان والأزياء والأفكار ، حتى كأن ليس فيهم عربى ولا فارسى ولا تركى ولا كردى ولا شركسى ، ولا أشقر ولا أسمر ، ولا قريب ولا بعيد ؟

كيف انهدم فى يوم واحد ، ما أنفق أعداء الإسلام القرون الطوال فى بنائه ، من عوائق الوحدة فى الدين ، وموانع الأخوة فى الله ؟



هذا هو سرّ الإسلام .

فقل لدعاة القومية : موتوا بغيظكم ، إن المستقبل لنا ، لقد شدتم صرحا ولكنه صرح من الثلج ، متى أشرقت عليه شمس الإسلام ، رجع وحلاً تطؤه الأقدام !

التنزه عن البهتان

يروى أن رجلاً شتم المهلب بن أبى صفرة فلم يجبه ، فقيل له : حلمت عنه ؟ فقال : ما أعرف مساويه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

من فقه عمر في الاقتصاد والمال

الأستاذ البهى الخولى

وردت الأنباء على عمر رضى الله عنه مبشرة بفتح الشام وفتح العراق وبلاد كسرى ، ورأى نفسه أمام مشكلة مالية خطيرة . . . فأموال الأعداء : ذهبهم وفضتهم وخيولهم وأنعامهم وقعت غنيمة فى أيدى الغزاة المظفرين بتأييد الله . . . وأرضهم كذلك دخلت فى حوزتهم .

أما المال فقد أمضى عمر فيه حكم الله تعالى ؛ إذ أخذ خمسه ، ووزعت الأخماس الأربعة على أفراد الجيش تنفيذاً لقوله تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » .

أما الأرض فكان له فيها رأى آخر . . . كان رأيه أن تحبس ولا توزع ، وتبقى كأنها ملك للدولة فى يد أصحابها القدماء ، يؤدون عنها الخراج ، وما يحصّل من هذا الخراج يقسّم فى عامة المسلمين ، بعد أن يحجز منه أجور الجند المرابطين فى الثغور ، والبلاد التى فتحت .

أما الكثير من الصحابة فأبى إلا أن توزع عليهم الأرض لأنها فىء أفاءه الله .

وكانت وجهة نظر عمر أن البلاد المفتوحة تحتاج إلى حاميات من الجند يقيمون فيها ، ولابد لهؤلاء الجند من رواتب ، فإذا قسمت الأرض فكيف يدبر لهذه الحاميات أرزاقها ؟ . . . ذلك إلى أن الله لا يريد أن يكون المال دُولة أو مأكلة بين الأغنياء وحدهم ، فإذا قسمت هذه الأراضى الشاسعة الواسعة فى الشام ومصر والعراق وفارس على ألوف معدودة من الصحابة تضخمت الثروات فى أيديهم ، ولم يبق شىء للذين يدخلون فى الإسلام بعد ذلك ؛ فيكون الثراء الهائل فى ناحية ، والحاجة المدقعة فى ناحية أخرى . . . وهو ما كان ضمير عمر يأباه .

ولكن دليل الكتاب والسنة فى جانب المعارضين لرأى عمر ، الراغبين فى الثراء الحلال الذى ساقه الله إليهم ، فهم يحتجون عليه بأنه فىء ، وأرض الفىء قسمها الرسول عليه السلام من قبل ، ولم يفعل بها ما يريد عمر أن يفعل ، واشتد بلال رضى الله عنه على عمر ، وتزعم حركة المعارضة حتى أحرجه وضايقه ، وحتى بلغ من ضيقه وحرجه أن رفع يديه لله « اللهم اكفنى بلالاً وأصحابه » . . وكفاه الله بلالا وأصحابه بالفقه الدقيق يرفعه له نورا من بين سطور الكتاب العزيز ، وبالحجة البالغة ينحاز لسلطانها القوم .

هذا عمر يقول لمن حضر من أصحابه إن سعد بن أبى وقاص كتب إليه من العراق بأن القوم معه سألوه أن يقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم من الأرض .

بعض الحاضرين : اكتب إليه فليقسمه بينهم .

عمر : فكيف بمن يأتى من المسلمين بعد ذلك ، فيجدون الأرض قد قسمت ، وورثت عن الآباء وحيزت ؟ . . . ما هذا برأى .

عبد الرحمن بن عوف : فما الرأى ؟ . . . ما الأرض إلا مما أفاء الله عليهم .

عمر : هو كما تقول . . . ولكنى لا أراه . . . والله لا يفتح بعدى بلد عسى أن يكون كلا على المسلمين . . . فإذا قسمت أرض العراق ، وأرض الشام ، فما تُسد به الثغور ، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد ، وبغيره من أهل الشام والعراق ؟ .

القوم : كيف تقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا ؟ .

عمر : — فى حيرة وتوقف — هذا رأى .

القوم : استشر .

ويستشير عمر المهاجرين الأولين ذوى السابقة والقدم الراسخة فى الإسلام .

عبد الرحمن بن عوف : أرى أن تقسم للناس حقوقهم .

على بن أبى طالب : بل الرأى ما رأيت يا أمير المؤمنين .

الزبير بن العوام : لا . بل يقسم ما أفاء الله علينا بأسيافنا .

عثمان بن عفان : الرأى ما قال عمر .

بلال : لا والله ، بل نمضى حكم الله فيما أفاء على عباده المؤمنين .

طلحة : أرى الحق فيما ذهب إليه عمر .

الزبير : أنى يذهب بكم يا قوم عن كتاب الله .

عبد الله بن عمر : امض يا أمير المؤمنين لما رأيت فإنى أرجو أن يكون فيه خير هذه الأمة .

بلال : — صائحاً غاضباً — والله لا يمضى فى هذه الأمة إلا ما أمضاه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

عمر : — فى ضيق وحرج — اللهم اكفنى بلالا وأصحابه .

واحتدم الجدال ثلاثة أيام ، وكثر لغط الناس حول هذه المشكلة ، وألهم عمر أن يتسع بالشورى من دائرة المهاجرين حتى تشمل أفق الأنصار ، فاستدعى عشرة منهم : خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج ، وخطب فيهم بهذا القول الجميل الحكيم : حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إنى لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا فى أمانتى فيما حملت من أموركم ، فإنى واحد كأحدكم . . وأنتم اليوم تقرون بالحق خالفنى من خالفنى ، ووافقنى من وافقنى . . ولست أريد أن تتبعوا هذا الذى هو هواى . . . معكم من الله كتاب ينطق بالحق . فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق .

الأنصار : قل نسمع يا أمير المؤمنين .

عمر : سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنى أظلمهم حقوقهم ؛ وإنى أعوذ بالله أن أركب ظلماً . . . لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت . . . ولكن رأيت أنه لم يبق شىء يفتح بعد أرض كسرى ؛ وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم ، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله ، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه ، وأنا فى توجيهه . . أما الأرض فرأيت أن أحبسها وأضع على أهلها فيها الخراج ، وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين والمقاتلة والذرية ، ولمن يأتى من بعدهم . . . أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها . . أرأيتم هذه

المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم ؟ . . فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض ؟ .

الجميع : الرأى رأيك فنعم ما قلت : إن لم تشحن هذه الثغور والمدن بالرجال ، ويجر عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم .

والتمع فى ذهن عمر نور مما اعتاد الحق أن يلقيه على لسانه وقلبه فقال وإنى قد وجدت حجة فى كتاب الله « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ثم قال عقب ذلك : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فهذا للأنصار خاصة ، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » فكانت هذه الآية عامة لمن جاء من بعدهم فقد صار هذا الفىء بين هؤلاء جميعاً ، فكيف نقسمه لهؤلاء ، وندع من تخلف بعدهم بغير قسم ؟ !

الآن قد بان لى الأمر . . .

***

ويستطيع الباحثون أن يستخرجوا من هذا الموقف كثيراً من الأحكام الاجتماعية والاقتصادية . .

ففيه نرى عمر رضى الله عنه حريصاً كل الحرص على أن لا يتكدس المال فى أيدى فئة من الأغنياء ، فإن أيلولة عشرات الملايين من الأفدنة بالعراق والشام وفارس

ومصر إلى جماعة الغزاة ومن فى حكمهم يخلق فئة من الأثرياء يتضخم فيهم المال ، ويتركز تداوله فيما بينهم ؛ ولهذا آثار اجتماعية وخلقية لا تحمد عاقبتها .

وفيه نرى عمر ينظر إلى المال على أنه حق للجميع ويسوسه سياسة يرعى فيها صالح الأجيال القادمة ؛ وهى نظرة دقيقة عميقة لها من القرآن الكريم سند أى سند .

وفيه لون من تأميم الأراضى أو ما يشبه التأميم ، إذ منع جماعة المسلمين المعاصرين له أن يستولوا على ما أفاء الله من الأراضى ، ولم يتحول عن رأيه فى جعلها ملكا للدولة ينفق من إيرادها على الجند ، ويواجه بها ما تأتى به الأيام من مطالب .

وفيها غير ذلك من النظرات المالية والاقتصادية التى تدل على سعة الأفق ومرونة التفكير وإحاطة الإسلام الحنيف بدقائق المسائل . . . هدانا الله إلى استخراج ما فى ديننا من كنوز ومبادئ وحقائق .





نصيحة ملك لأمير

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح أمير سريته : أنت تاجر لعباده فكن كالمضارب الكيس إن وجد ربحاً اتجر ، وإن لم يجد احتفظ برأس ماله . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفاً من احتيال عدوك عليك .

في ظلال السنة

للأستاذ عبد الوهاب حموده

الرأى العام فى نظر الإسلام

روى البخارى عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مثل القائم على حدود الله[1] ، والواقع فيها[2] ، كمثل قوم استهموا[3] على سفينة ، فأخذ كل واحد منهم نصيباً ، فأصاب بعضُهم أعلاها ، وبعضُهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقَوْا من الماء ، يمرون بالماء على الذين فى أعلاها ، فتأذّى الذين فى أعلاها بالمارّ عليهم ، فقال الذين فى أسفلها : لو أنّا خرقنا فى نصيبنا خَرقا ، ولم نؤذِ مَن فوقنا .

فأخذ أحدهم فأساً ، فجعل يَنقُر[4] أسفلَ السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالكَ ؟ قال تأذَّيتم بى ، ولا بدّ لى من الماء ؛ فإن أخذوا على يديه[5] ومنعوه ، أنجَوْه ونَجَوْا أنفسَهم ، وإن تركوه ، أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » .

* *

هناك أمور لا يغنى فى تقويمها قانون ، ولا يجدى فى إصلاحها شرع ؛ وإنما يؤثر فيها سخط المجتمع ، وغضبة الرأى العام ، وسخرية الجماعات .

تمر فى وقت الظهيرة من يوم رمضان بشارع من شوارع القاهرة الإسلامية الغاصة بالمترفين من الشبان المستهترين ، فترى هذا والسيجارة فى فمه ينفخ دخانها فى وجوه المارة ، وذلك يحتسى قهوة مثلجة ، وآخر جالساً على المقهى يتناول ما لذّ وطاب ، وغيره منكبا على منضدة أكل فى مطعم يمضغ بفيه لحما وفاكهة .

---

(١) القائم على حدود الله : الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر .

(٢) الواقع فيها : العاصى .

(٣) استهموا : اقترعوا .

(٤) ينقر : يحفر .

(٥) أخذوا على يديه : منعوه من الحفر .

كل ذلك فى غير ما حياء من جمهور ، ولا خجل من رأى عام ، ولا خشية لوم أو عتاب ، والوجوه مشرقة ، والثغور مبتسمة كأنْ لم يحدث شىء ولم يرتكب جرم ، فماتت الوجدانات ، ومسخت الضمائر ؛ فلا حرمة لدين تُرعى ، ولا كرامة لشعيرة من الشعائر يدافع عنها ، ولا سمعة لأمة إسلامية يحافظ عليها .

فما الذى يحيى هذه الضمائر المائتة ، ويوقظ ذلك الشعور من سباته غير رأى عام قوى ، ووعى دينى ساخط ، ومجتمع حىّ متحمس ، يدافع عن كرامته ويذود عن دينه ، ويغضب لأوامر ربه أن تنتهك ، ولشرائعه أن تمتهن ؟

فالرأى العام هو الحكم الذى يقره جمهور الأمة ، ويعبر عن رغبات السواد الأعظم منها .

وهو تختلف درجته باختلاف درجات التعليم والمدنية ، فأقواه ما كان عن تربية صحيحة ، وثقافة واسعة .

وللرأى العام فى الأمم المتمدينة سلطان قلما يدانيه سلطان ، فله نفوذ على القوانين فى وضعها وتنفيذها ، وعلى الحكومة فى خطتها وسلوكها ؛ بل للرأى العام سلطان كبير على الأفراد والجماعات والقادة والهيئات .

وقد اعتبر الإسلام هذا الحارس ، وحض على احترامه ومراعاته ، واستخدمه فى تأديب الناشزين ، وزجر الشذاذ والمستهترين .

روى البخارى عن حرملة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ماتأمرنى به أعمل ؟ فقال : « ائت المعروف ، واجتنب المنكر ، وانظر ما يعجب إذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فائته ، وانظر الذى تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه »

وروى ابن عساكر فى تاريخه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

قال رجل يارسول الله متى أكون محسنا ، ومتى أكون مسيئا ؟ قال : « إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن ، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسىء فأنت مسىء » .

فى غزوة تبوك أمر أصحابه صلوات الله عليه بالتهيؤ لغزو الروم ، وكان ذلك فى زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد .

فلما رجع إلى المدينة وقد كان تخلف عنه ثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقوا فى قولهم من أنهم لم يكن لهم عذر : فنهى رسول الله المسلمين عن كلامهم ، وتغيروا لهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظلوا على ذلك خمسين ليلة .

فاستعان الرسول فى تأديبهم بالرأى العام ، ليوقظ من ضمائرهم ، ويذيقهم مرارة خطئهم



روى أصحاب السنن عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله صّلى الله عليه وسلم يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل ، إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

لم يكتف الرسول صلوات الله عليه فى تقدير الرأى العام بذلك ، بل جعل له الاعتبار حتى فيمن فارقوا هذه الدار فجعل شهادة الرأى العام لهم ورضاه عنهم عنوان الخير ودليل النجاة ، وجعل سخط الرأى العام عليهم ، وشهادته عليهم عنوان الشر ودليل السوء ؛ روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

مُر بجنازة فأثنى عليها خيرا ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « وجبت وجبت . وجبت » .

ومُرّ بجنازة فأثنى عليها شراً ، فقال نبى الله : « وجبت . وجبت . وجبت » قال عمر : فِدًى لك أبى وأمى ، مُرّ بجنازة فأثنى عليها خيراً فقلت وجبت ، ومُرّ بجنازة فأثنى عليها شراً فقلت وجبت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض ، أنتم شهداء الله فى الأرض ، أنتم شهداء الله فى الأرض » .

ولكن أى مجتمع ذلك الذى شهادته هى شهادة الله فى الأرض ، وأى رأى عام ذلك الذى حكمه هو حكم الله فى الأرض ؟ هو مجتمع أقوياء الإيمان ، مَن ليس للهوى عليهم سلطان ، ولا يخشون فى قولة الحق لومة لائم ، ولا يحابون ، ولا يمالئون ، ولا يراءون ، ولا ينافقون وعلى ربهم يتوكلون .

على أن للإسلام بإزاء الرأى العام نظرتين مختلفتين ، وتقديرين متباينين : هناك رأى عام لأولى الحل والعقد وأهل الرأى من العلماء فى الأمة ؛ وهو ما يعرف فى أصول التشريع بالإجماع .

وهذا النوع يُرجع إليه فى التشريع فيما لم ينص عليه كتاب ولا سنة ، وهو حجة فى الأحكام الشرعية ، ومصدر من مصادر الأدلة الإسلامية .

قال عليه الصلاة والسلام : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » .

وهناك رأى عام يتكون من كل فرد مهما اختلفت درجة ثقافته ، وتضاءلت سعة معرفته ، فواجب على كل فرد أن يقوم به ، ولا يتوانى فى إعلان رضاه أو سخطه ؛ وهو ما يعرف فى الشرع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو من علامات المجتمع الصالح ، وأمارات الأمة الرشيدة .

قال تعالى تحذيراً لنا من إقرار المنكر بين أظهرنا ، والمداهنة فى السكوت على الجرائم ترتكب ، والرذائل تشيع ، فأنذرنا الله تعالى بأننا إن فعلنا ذلك عمنا العذاب ، وشملنا أثر الذنوب ، فقال تعالى : « واتقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة » فإن الأمة متكافلة فى النعماء والبأساء ، متضامنة فى الرخاء والبلاء .

قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه ؛ فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم فقال تعالى :

« لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوْا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئسما كانوا يفعلون » .

وروى البيهقى فى الشُعَب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تقفنّ عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعْنة تنزل على مَن حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على مَن حضره ولم يدفع عنه » .

فالرأى العام إذا كان جريئا لا يخشى فى الحق صولة صائل ، ولا يعرف فى سبيل المصلحة العامة مداهنة ، ولا مصانعة ، ولا يدين بتسامح ولا هوادة فى حقوق المجتمع ، وتنفيذ شرائع دينه ؛ فهو عنوان نضج الأمة ودليل استقامة الرأى فيها ، واستحقاقها للحياة الحرة الكريمة .

روى البيهقى فى الشعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى لامرئ شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به ؛ فإنه لن يقدّم ذلك من أجَله ، ولن يحرمه رزقاً هو له » .

وراعى الشاة يحمى الذئبَ عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

كيف نستعيد مجد الإسلام

للأستاذ أحمد مظهر العظمه

مفتش الدولة ، ورئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامى بدمشق

« بحث على صعوبة من حيث التفصيل ، وطرقه كثير من الباحثين ، وتعددت فيه وجهات النظر من بعض نواحيه ، والذى نشير الآن إليه — فى معالجة يسيرة الموضوع — التذكير بمقاصد الإسلام والمسلمين ، وماضيهم وحاضرهم ، ومآلهم المتوقع ، وما يجب عليهم تلقاء ما يهددهم من أخطار الطغيان والاستعمار المادى والمعنوى » .

١ — الإسلام ثورة روحية فكرية قبل كل شىء ، ثورة على الضلال والجهل والظلم بأنواعه . . . ولكنها ثورة للهدم والبناء بعده ، ثورة لتحطيم الوثنية الحجرية والبشرية فى جميع صورها ، وبناء الوحدانية الإلهية ، والوحدة الإنسانية الكبرى على نظم شاملة كاملة ، معها أسس (تطورها) الرشيد كلما دعت إلى ذلك المصالح العامة .

إنها ثورة ولكنها تربوية سلمية كلما أمكن السلم ، فهى تعادى سفك الدماء ما أمكن نشر ما يصحبها من ضياء وتحقيق ما لها من رجاء ، فإن تعذر الجنوح إلى السلم فإنها ثورة معها قوتها وبأسها .

(والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم)

هذه الثورة يخاطب قرآنها الذى هو دستورها ، البشر جميعاً قائلا :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » — الحجرات : ١٣ .

ويخاطب أهل الكتاب قائلاً :

« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » ٣ : ٦٤ .

ويخاطب المؤمنين مبيِّناً أثر التقوى واجتماع الكلمة فى دين الفطرة السهل السمح :

« فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيِّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ، منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » ٣٠ : ٣٠ — ٣٢ .

وبيّن وحدتهم وعبادتهم وعزّتهم التى قرنها سبحانه بعزته وعزة رسوله :

« إن هذه أمتكم أمةً واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ٢١ : ٩٢ .

٢ — لقد صلحت الأمة العربية بالإسلام ؛ فكانت أهلاً لترث جانباً عظيماً من الأرض وتعمرها روحاً وعدلاً ونظاما . وكلما طبق التوحيد روح الدين ونظامه الشامل تطبيقاً صحيحاً ؛ أثمر صلاح الفكر وصلاح القلب وصلاح اليد وصلاح الحياة وازدهار الحضارة .

ولقد حقق الإسلام ذلك كله فى زمن قصير جداً جداً من عمر التاريخ ، فأشهده على معجزات من وعد الآيات البينات ، فى مقدمتها تلك الوحدة الإسلامية العظمى ، والأخوة الإسلامية الكبرى « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ٨ : ٦٣ .

لقد ألف بينهم وحقق عزتهم وجعلهم الوارثين العادلين بعد أن آمنوا بوجوده وحده ، وآمنوا تبعاً لذلك بوجودهم ، و (هذه الكائنات درجات : فما يعى منها وجوده ويشعر بأنه موجود أرفع من الكائن لا يعى وجوده ولا يشعر بأنه موجود .

والكائن الواعى الذى يشعر بموجده أو يشعر بالوجود المطلق الكامل أرفع من الكائن الواعى الذى لا يعى غير ذاته أو ما حوى من المحسوسات .

وإذا كانت قدرة الإيجاد تختلف باختلاف طبقات الوجود فأقرب الكائنات إلى الله هو الكائن الذى يعى ذاته ويعى موجده ، ويستمدّ منه قبساً من القدرة الإلهية يقصر عنه من هو دونه من هذه الكائنات) (١) .

(١) الشهاب م ١ ع ٢ نقلا عن الفلسفة القرآنية للأستاذ عباس محمود العقاد .

وقد عبد المسلمون ربهم كأنهم يرونه وهم يعتقدون اعتقادا جازماً أنه سبحانه وتعالى يراهم ، وعملوا بأوامره مذعنين محسنين ، فأراهم وعده حقاً ، « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ٣٠ : ٤٧ .

٣ — ثم تغيرت العبادات والآمال ، وتغيرت الأقوال والأعمال ، فعكست خطّ المسلمين كوارثُ الليالى ومصائب الأيام ، ولا يزالون يتخبطون فى كثيف من دياجير الظلام ، ويئنُّون تحت ثقيل من نير الظالمين ، والمسلم فى كثير من شئونه وشجونه كما قال الشاعر :

إذا بلّ من داء به ظنّ أنه نجا وبه الداء الذى هو قاتله(١)

وإذا استعرضنا ما تلاقيه جملة من الأقطار الإسلامية من ويلات المستعمرين وأعوانهم عن قصد وغير قصد فى الشرق والغرب ، وإذا ذكرنا مثلا مأساة القرم(٢) وفلسطين والمغرب العربى وإيران . . . وعرفنا تهافت المتهافتين على كنوز المسلمين ونفطهم وموادهم الأولية وخيراتهم الأخرى وأسواقهم . . . وتهافتهم على عقائد ومكارم يفسدونها ، ومقاصد رفيعة يطغون عليها ، لتمكّن لهم فى البلاد . . . ؛ إذا ذكرنا ذلك كله وما إليه من آمال تخيب فى فرص عديدة للخلاص والنهوض ، عرفنا أى كارثة شنيعة تهدد المسلمين ، وأى جريمة فظيعة هى قعودهم عن العمل بما يجب عليهم تلقاء الخطوب المدلهمة التى تحاول أن تتخطفهم .

إن الذى يقوى الأمل حيناً الانتصار على الاستعمار فى عدد من الديار ، وجلاء جيوشه بعد الظن بأنهم مانعتهم حصونهم وعددهم . ويجب أن يُؤجج نضال العدو حيثما كان ، ويدفع النهوض إلى الحد المستطاع روحياً وفكرياً واجتماعياً وصناعياً وعمرانيا . . .

ولكن الذى يحزّ فى النفس أن الأجنبى عن عقائدنا وأخلاقنا ونظمنا ، لا يزال جاثما فى النفوس الضعيفة والأفكار المريضة ، وهو يصحب ذويها مستخفياً وراء أهوائهم الجامحة وتقليدهم الأعمى ، يصحبهم فى بيوتهم ، ومدارسهم ، ومتاجرهم ،

(١) مما كان يتمثل به سيبويه (أساس البلاغة ج ١ ص ٦٣)

(٢) راجع كارثة القرم الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى للسيد يوسف ولى شاه أور السكيراى .

ودواوينهم ، ويلحقهم بمسكره الرأسمالى أو الاشتراكى وهم يشعرون أولا يشعرون !!
مع أن لنا — نحن معشر المسلمين — ديناً هو دين الإسلام « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » ٣ : ٨٥ ، ولنا نظاماً هو نظام الإسلام يستند إلى فلسفته الكاملة المنسجمة عناصرها التى تتفق فيما تتفق فيه أحياناً مع صالح فى رأسمالية أو اشتراكية ، ولكن هذا يجب أن يفهم على أنه لا يعنى سوى استقلالها وطلبها الأصلح . فإذا لم تسلم لنا أحكام الإسلام الجميل الكريم العظيم حرة طليقة ، بل سيدة مطاعة ، فلا نزال فى الاستعمار . ولا يمكن أن يُتصور الإسلام الصحيح العزيز دون أن يحكم ويسود عقيدةً وتفكيراً وثقافة ونظاماً وعملا . وهذه الصلاة ركن الإسلام الأول بعد الشهادتين قل لى بربك ماهى نسبة المحافظين عليها فى الأقطار الإسلامية التى سرى فيها التقليد الأجنبى ، تلك الصلاة التى لا يشك مسلم فى أنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، تلك الصلاة العظيمة التى يعلل بها المستشرق الأستاذ نيكلسون سرّ انتصار المسلمين فى بدر على قلتهم فى العدد والعدد فيقول : (لقد كان انتصار أتباع محمد على قريش الوثنيين أمراً طبعياً بدهياً ، لأن محمداً كان يعلم أتباعه النظام العسكرى والجندية الكاملة خمس مرات فى المسجد كل يوم[1]) .

كان الاستعمار فى القرنين الماضيين — كما قال الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق — بغياً من القوة المادية على شعوب ذات فضائل وأخلاق ، منتهزاً فرصة الضعف الذى دبّ إلى حكومات تلك الشعوب الطيبة الأعراق ، الآمنة فى أوطانها ، السعيدة بقناعتها وأمانتها وتراحمها .

وكان الغرب يمنّ على الشرق فى استعماره بأنه حمل إليه الحضارة والنظام والمعارف ؛ وهو لم يحمل إليه من الحضارة إلا قشورها . . .

وخدع من خدع ممن تغرّهم المظاهر وتغريهم .

وتغيرت بعد الوقائع الظنون ، واشتد فى نضالهم المناضلون ، وأخفق الاستعمار فى بعض الديار ، ولا يزال فى بعض على غير اطمئنان . . .)

أما الاستعمار اليوم فإن منه ما يقنع بدخول عقائده ومعارفه وعاداته وبضاعته

(١) الشرق العربى م ٢ ع ١٨ س ١٤ .

بدلاً من دخوله هو محتلاً غاصبا ، وهو يرى أن تلك كثيراً ما تُقبل طوعاً وإكباراً لا إرغاماً وإصراراً .

والذى يحزّ فى النفس أيضاً أن الخرافات والبدع والأوهام من طبول وزمور ، وشموع وخنوع ، وتواكل وانعزال ، وجمود وجهل باسم توكل أو قضاء وقدر . . . ونحو ذلك مما لم يفهم فهماً صحيحاً ؛ كل ذلك كثيراً ما يعزى زوراً إلى الإسلام ، ويستبسل أنصاره فى سبيله كل الاستبسال ، وهو يشوّه الإسلام الجميل الكريم الذى يتجه إلى معالى الأمور ويكره سفسافها .

ضلّوا السبيل فلا الأخلاق مشرقة ولا الديانة إسلام وإيمان
الله للدين كم ظلماً أهين وكم عدوه نقصاً وفى التفكير نقصان[1]

٤ — عاد المسلمون من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام : « قدمتم خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : « مجاهدة العبد هواه[2] » .

والذى نحتاج إليه اليوم :

(١) جهاد الأعداء حيثما اعتدوا علينا .

(٢) وجهاد الأهواء حيثما وسوست لنا .

(٣) والعمل فى مرافق الإنشاء والبناء جميعاً فى ظل الإسلام : عمل النظم المدنية والجزائية والاجتماعية ، وعمل الثقافة التى تنهض بها ، وعمل المعابد التى نجتمع للعبادة فيها ونعتمد على توجيهها ، والمصانع والمزارع والمتاجر التى نستقى بخيراتها ، والمدافع التى نعتد بها . . .

وإن شئت قلت بإيجاز : العمل بالإسلام الصحيح فى أنحاء كل وطن إسلامى هدماً لكل فاسد وبناء لكل صالح فى جميع شؤون الأفراد والجماعات .

الإسلام الذى يشهد له المنصفون ولو من غير المسلمين كالمؤرخ ولز القائل :

---

(١) من ديوان دعوة المجد للكاتب ص ٧٢ .
(٢) فى كشف الخفاء : رواه الخطيب فى تاريخه عن جابر .

(إن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أينما سارت ، هى الديانة الإسلامية ... وإذا طلب منى أحد القراء أن أحدد له الإسلام فإنى أحدده بالعبارة التالية : الإسلام هو المدنية[١]) .

الإسلام الذى لم ينقص شيئاً اليوم ، وإنما أكسبه تقدم العلوم والحضارات قوة إلى قوة ، ولا يزال قادراً على أن يمدّ العاملين به بذخيرته الثمينة ؛ فيسعدوا ويسعد بهم العالم .

الإسلام الذى استطاع أن يحتل فى الغرب نفسه بلاداً أقام فيها مملكة الأندلس التى كان لها على المدنية العالمية فضل عظيم . قال البحاثة غوستاف لوبون عن أهلها بأنهم (فتحوا لأوربا باب المعارف العلمية والأدبية والفلسفية التى كانت تجهلها ، ومدنوها ، وظلّوا أساتذة لنا مدة ستة قرون)[٢] .

ويتساءل هذا الباحث المنصف بمناسبة اندحارهم أمام جيوش شارل مارتل فى معركة بواتيه (التى أقاموا على الرغم منها قرنين فى فرنسا) يتساءل قائلا : (لنفترض أن النصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا جوّ شمال فرنسا كجوّ إسبانيا غير بارد ولا ممطر فاستوطنوه ، فماذا كان يصيب أوربا ؟ كان يصيب أوربا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب إسبانيا من التقدم والارتقاء والحضارة الزاهرة الرفيعة تحت راية النبى العربى ، وكان لا يحدث فى أوربا التى يكون قد هذبها الإسلام ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية وملحمة سان بارتلمى ومظالم محاكم التفتيش ، وكل مالم يعرفه العرب من الوقائع التى ضرّجت أوربا بالدماء عدة قرون)[٣] .

٥ — ويساعد المسلمين على نهضتهم فى ظل الإسلام أمور فى مقدمتها :

(١) أن الثقة بسياسة الغرب تضعضعت بعد أن نكث ساسته الاستعماريون العهود ، ووضعوا فى أيدى الأحرار القيود ، وأصلوا الآمنين المطمئنين ، ومدنيتهم سعيرهم وحممهم .

---

(١) الفتح ٣٢ ع ١١٠ نقلا عن الجامعة الإسلامية ، ولولز بحث أنصف فيه على الجملة ، نقله الأمير شكيب أرسلان فى الجزء الأول من حاضر العالم الإسلامى .

(٢) حضارة العرب . تعريب الأستاذ محمد عادل زعيتر ص ٦٠٠

(٣) المصدر نفسه ص ٣٤٢

(٢) وأن الثقة بالرأسمالية والاشتراكية فى المواطن الاجتماعية العديدة أوهنتها التجارب الضائعة فى كثير من النواحى .

(٣) وأن الثقة بالروابط والمذاهب الاجتماعية التى جربناها أفقدتنا مالاً ورجالاً وشرفاً وزمناً ، وبدت روابط مهلهلة لا يعول عليها .

(٤) وأن عدد المسلمين عدد — مع التنظيم — لا يُضارع ولا ينازع .

(٥) وأن موقع العالم الإسلامى موقع — على تفرّق أجزائه — كبير خطير جغرافياً واقتصادياً ، فهو منتشر فى آسيا ، منتظم سواحل البحر الأبيض المتوسط — وما أدراك ما البحر الأبيض المتوسط وما حوله قديما وحديثاً ، براً وبحراً وجواً — ومتوغل فى إفريقيا ، ومشرف على أوربا ، ولذلك لا تقع هزة من هزات السياسة والاجتماع إلا وتجد للعالم الإسلامى أثراً كامناً أو ممكناً فيها ، ولـكنه هو ويقظته ، فقد يكون ذلك الأثر مع الغفلة غنيمة لسواه الذى سخره إذ صور له الغرم غنما ، وقد يكون ذلك الأثر مع اليقظة مغيراً الوجهة ، محققاً العدلة .



وكيف يستريح الغادر وله معقبات من بين يديه ومن خلفه ، فلا يخفى من أمره خطر ، ولا ينفعه مع طغيانه حذر ؟

وفى هذا العالم من الخيرات والمواد الأولية ، وفيه من الأسواق العالمية الـكبرى مالا يخفى كثرة وحظوة وسعة .

فالعالم الإسلامى أعظم جبهة للسلم لمن شاء السلم ، وللحرب لمن اضطره إلى الحرب ، ولـكن حين يجمع على الحق كلمته ، ويوحد نحو الهداية وحريتها ونهضتها غايته .

وليس التباعد بين أجزاء العالم الإسلامى بجاعل تعاونه متعذراً ، فالتواصل اليوم قد أعدّ له العالم عدده التى لا تبقى لراغب فى عمل عذراً ، أدبياً كان عمله أو مادياً ، فى كثير من الأحيان .

٦ — ومن الخير للعالم الإسلامى — ولا سيما العربى — ربما تتاح له الفرصة من نفسه فتنتظمه سياسة رشيدة واحدة إن أمكنت ، ويجمع شتاته تعاون وثيق ؛

أن يتفق على أمور فى التعاون لا يعترض سبيله فيها معترض ، ما دام المسلمون والعرب يعرفون أنفسهم ، ويحفظون كرامتهم ، ويعملون لخير أمتهم .

وفى مقدمة تلك الأمور :

(١) التفاهم الروحى ، يتفق فى ظله على الأسس التى يقوم عليها بنيانه فينقض ما خلاها ، وينبذ ما عداها ، من بدع وخرافات وأوهام وبعد عن مقاصد الشريعة وسموها ، وموافقتها لحاجات المصلحة العامة فى كل زمن ، كما يتفقون على الدعوة إلى هذه الأسس وإبلاغها العالم المتعطش إليها ، معربة عن رسالة الإسلام بأكمل معانيها وأوسع مقاصدها .

(٢) التكامل المادى ، بأخذ الأهب الكافية لحياة سعيدة قوية ننشىء لها ما نقدر عليه من مصانع ومعاهد . . .

(٣) التوحيد الثقافى ، فتتفق المناهج ، وتأتلف البرامج ، ويسلك أبناء الجيل الصاعد سبلا من صالح القديم ونافع الجديد توصلهم جميعاً إلى مقصد واحد ، ولا ضير بعد الاتفاق فى الكليات الانفراد فى أمور تدعو لها الضرورات الخاصة .

(٤) التعاون الاقتصادى ، فيستغنى العالم الإسلامى عن كل ما يمكن ومن يمكن الاستغناء عنه من بضاعة الأجانب ومعاملتهم وخبرائهم ؛ فلا نأكل ولا نلبس ولا نستعمل إلا ما كان من ثمرات بلادنا وصنع أيدينا ولو كان ثمنه غالياً ، إلا فى حالات نادرة من التبادل الاقتصادى المتوازن .

(٥) التعاون الاجتماعى ، فلا يأذن العالم الإسلامى لضلال فيه ولا لفقر ولا لمرض ولا لجهل ، وللإسلام فى ذلك كله حلول واضحة وعلاجات ناجحة تنفع المسلم وغير المسلم ، وتصون حقوق هذا وهذا ، وتجعل الآخذين لها فى مأمن من وساوس المضاعب والمصائب . وقد سبقنا إلى تطبيق بعضها شعوب جنت منها خير الثمرات ، ويحسب الجاهلون أن تلك الثمرات غريبة عن الإسلام والمسلمين .

(٦) التعاون العسكرى بالقدر الذى تسمح به الظروف السياسية الآن ريثما تتغير ، « ولله الأمر من قبلُ ومن بعد » ٣٠ : ٤٠

٧ — وما أحوج المسلمين وفى مقدمتهم العرب — ظئر المسلمين — إلى جامعة إسلامية وقيادة عليا عالمة بمقتضيات العصر ، تصون التوازن الدولى ، وتوجه خطا المسلمين وجماعاتهم الموجّهة ، وتنظم تعاونهم جميعاً على بعث تراث الإسلام الصحيح والعمل بمآثره دون إيثار الذى هو أدنى على الذى هو خير ، وحينئذ يرتفعون عن أن يكونوا غثاء كغثاء السيل إلى درجة الأقوياء الأشداء المهابين روحاً ويداً[١] .

٨ — قد يقول المتوهمون : إن فى العمل بالإسلام قضاء على المدنية وإضاعة لحقوق غير المسلمين ! وما عرف الإسلام وتاريخه من كانت هذه مقالته ، فالإسلام هو المدنية الشريفة المتجددة ، ولكن مدنية الحق والخير والعدل والجمال والكمال ، لا مدنية الشهوات المغريات ولا الغش ولا الفتن المهلكات .

وفى تحقيق العمل بالإسلام صيانة لحقوق غير المسلمين ولو كانوا أعداء ، وفى كتاب الله :

« ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » ٥ : ٨[٢] .

ومن القواعد الشرعية : (يقوم فى كل ولاية من هو أقدر على القيام بحقوقها ومصالحها[٣]) .

٩ — ولنسمع الآن بعض ما يشدّ همم العاملين :

نشرت مجلة (ريدارز دايجست) مقالاً مطولاً لكاتب أميركى كبير ، قرر فيه أن الشرق فى طريق نهضة كبرى سوف تقوم على الإسلام ، وستفوق هذه النهضة حتماً كل ما عرفه العالم عن نهضات الغرب . .

---

(١) فى الحديث الشريف « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن » قال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » رواه أبو داود فى سننه .

(٢) اقرأ شبهات حول حكم الإسلام فى (معركة الإسلام والرأسمالية) للأستاذ سيد قطب ص ٨٠ وما بعدها .

(٣) راجع الفقه الإسلامى للأستاذ حسن الخطيب .

ثم علل بأن دول الغرب الناهضة قد استنفدت معظم كنوزها الأرضية والعلمية، وهى بالرغم من قلة عدد سكانها قد بدأت تحتاج إلى كنوز الشرق لتواجه النقص الذى ما يزال يزداد عاماً بعد عام .

ثم استطرد الكاتب فى هذا المعنى فأضاف إليه : إن مساحة الشرق الغنى بتعداده وكنوزه تفوق مساحة الجزء الناهض من دول الغرب .

ثم عقب قائلاً : ... إن كل أجنبى زار الشرق — لاسيما دول آسيا — يجد أن الإسلام هو أبرز الأديان المؤثرة فى الحياة العامة ، وأكثر جلالاً وتقديساً ، فهناك خط منيع قوى من الدول الأسيوية الإسلامية ، يمتد من الباكستان أكبر دولة إسلامية إلى أندونيسيا ، ويسير صوب دول الشرق الأوسط عن إفريقية ، حتى الشواطئ المراكشية والأطلنطى . . وهذه الدول الإسلامية التى تأثرت جميعاً من إقامة دولة إسرائيل . . لا تزال تصرّ على أنها دولة مزعومة رغم وضوح حدودها على الخريطة اليوم . . ولا شك أن تكون هذه الدولة — إسرائيل — عاملاً فى توحيد كلمة هذه البلاد الإسلامية لوجود الخطر اليهودى فى صميم أراضيها . . وما المؤتمرات السياسية الإسلامية التى عقدت وما تزال تعقد فى الآونة الأخيرة إلا شاهد على ما أقول .

واختتم الكاتب الكبير حديثه بقوله :

(وإذا صح للمستنتج أن يستنتج حوادث المستقبل على ضوء الحاضر ، فإنى أقول : إن المسلمين ستكون لهم الدولة ، وإن كان مثل هذا الأمر يحتاج إلى فترة تمتد من ١٥ إلى ٣٥ سنة قادمة[١]) .

أيها المسلمون !

إن الإسلام الصحيح هو حصنكم المنيع وهو مجدكم الرفيع ، فإلى دين الحياة المثلى يا هداة الإنسانية ، إلى المجد « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ٣ : ١٣٩ .

---

(١) الحج م ٦ ج ١٢ ص ٧٧٤ نقلا عن (الجزيرة) .

من تاريخ رجالنا :

أيها المحلفون !

لا . . . الله لا الملك !

[نشرنا فى الأعداد الأول والرابع والخامس والسابع من السنة الثانية من « المسلمون » جزءاً من مرافعة مولانا محمد على ، واستجابة لرغبة كثير من القراء ننشر هنا جزءاً آخر ممتعا من هذه المرافعة التاريخية](١)

واستأنف مولانا محمد على مرافعته فقال :

إن المسلم الذى يرتضى الإسلام ديناً ، ويهتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم موافق ضمناً على عدم شرعية انضمامه إلى جيش يحارب المسلمين ويقتلهم بغير حق . وعلى ذلك فالقرار الذى تتهموننا باتخاذه فى مؤتمر جماعة العلماء لم يكن سوى حكم معلوم واضح فى الإسلام أعلناه .

إلا أن هناك عدا عن ذلك قرار أيضاً اتخذناه بكل عزم وتصميم ، وهو أنه إذا اتخذت الحكومة البريطانية بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، سرية أو علنية ،

---

(١) ورد فى تقديم هذه المرافعة فى العدد الأول من السنة الثانية من « المسلمون » ما يلى :

[بوجهه الصريح المشرق ، وبلحيته التى وخطها الشيب إلا شعرات سوداء تحفظ فى سمته الرهيب عنفوان الأمل وشباب العزمة ... وقف « محمد على » يومين فى قفص الاتهام يترافع عن نفسه وعن شقيقه « شوكت على » وإخوانه الخمسة فى محاكمة كراتشى الشهيرة سنة ١٣٢١ أمام هيئة محلفين من خمسة أشخاص : اثنان منهم هندوكيان والآخرون مسيحيون أحدهم أوروبى .

كانت جريمتهم أنهم اشتركوا فى مؤتمر رأسه « محمد على » زعيم مسلمى الهند قبل التقسيم ، أصدر قرارا مدعماً بالقرآن والسنة يدعو المسلمين إلى مقاطعة وظائف الحكومة البريطانية فى الهند وخاصة العمل فى القوات المسلحة . وقد استجاب المسلمون للقرار فاعتقل آلاف منهم ، ووقع الإنجليز فى حرج شديد ...

لم ينكر « محمد على » التهمة ، ولكنه اعتز بها ، وجهر بحكم الله فيها . وما أتم مرافعته حتى استحالت القاعة محراباً خاشعاً ، واقشعر كل من فيها رهبة لهذا الرابض فى القفص ... وصدر الحكم فكان مفاجأة للجميع . كان الكل ينتظر من هيئة ليس فيها مسلم أن تحكم بالنفى المؤبد ، فإذا هو حكم بالبراءة !

أى إجراء عدائى ضد حكومة أنقرة[1] ، فإن المسلمين فى الهند سيضطرون إلى أن يلجأوا إلى العصيان المدنى تضامنا مع المؤتمر ، وأن يعلنوا فى المؤتمر القادم فى (أحمد اباد) استقلال الهند وتأسيس حكومة جمهورية فيها .

أيها السادة ، لم يكن إعدادنا فقط للعدوان البريطانى السافر ضد حكومة أنقرة ، ولكن للإجراءات السرية أيضاً ، وسواء المباشر منها وغير المباشر . أجل! غير المباشر بواسطة اليونان . . . إننا نعلم جيداً سياسة الإنجليز : يعرّف بعضهم فى أكسفورد كرة القدم بأنها اللعبة التى تضرب فيها الرجُل بقدمك إن لم تظفر بضرب الكرة ، أما الرجبى (Rugbi) فهى اللعبة التى تضرب فيها الكرة بقدمك إن لم تستطع ضرب الرجُل ! . وكذلك يريدون إسقاط كل أمة ، وعلى الأخص العثمانيين ، ولكن على القاعدة المتبعة فى لعبة الرجبى ، فلا يقاتلون بأنفسهم إلا حيث لا يجدون من يقاتل عنهم !

أيها السادة ، إن هذا الأمر خطير حقاً ؛ وإننا مازلنا على بينة مما نحن مقدمون عليه ؛ وكل ابن أنثى من بيننا قد يشنق بسبب ذلك . ولقد كان خيراً لنا أن نعدم رمياً بالرصاص بدلاً من إحضارنا إلى هذه القاعة لنشهد هذه المهزلة فى محاكمتنا : القاضى والمحلفين ، وكل ما يتبع ذلك من أدوات . . . ولقد كان الأيسر اختصار هذا الطريق الطويل الملتوى ، فلا اتهام ولا قضاة ولا محلفون ، وكل ما فى الأمر فريق من الرماة يقودهم الكولونيل جوير ، أو الكولونيل بيتش ، وفى لحظة انطلاق البنادق ينتهى الأمر .

لقد ورد فى القرار « يضيف هذا المؤتمر معلناً بجلاء أنه بموجب الشريعة الإسلامية يحرم إطلاقاً الخدمة والتطوع فى الجيش البريطانى ، وكذلك الدعوة إلى ذلك » .

= مات محمد على (وهو غير مولانا محمد على اللاهورى رئيس الأحمدية) سنة ١٩٣١ عن ٥٣ سنة ، ودفن بجوار المسجد الأقصى الذى كان يحن إليه ويهيب بالمسلمين إلى الذود عنه ، بعد حياة عامرة بالجهاد فى سبيل الله ، وبالدفاع عن فكرة الخلافة الإسلامية وإخوة المسلمين كافة .

إن هذه المرافعة صفحة غراء من تاريخنا الحديث ، وبرهان رائع على الحياة التى تجيش فى كيان الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها] .

التحرير

(١) عاصمة الدولة العثمانية وكانت تعتبر حينئذ ممثلة للخلافة الإسلامية .

وعلى هذا فجريمتنا أننا أعلنا حكما فى الإسلام ، فإذا كان فى إعلان حكم الإسلام ذنب فقولوا ! فى هذه الحالة يكون إعلانكم لأحكام المسيحية جريمة أيضاً ، وكذلك الهندوك الذين يعلنون أحكام دينهم اتباعاً لتعاليمه مجرمون ، فإذا طلبوا من هندوكى ألاّ يقتل بقرة يكونوا مذنبين لاتفاقهم على ارتكاب جناية أو مؤامرة إجرامية ! ...

ولنأت الآن إلى الاتهامات التى تختصون بالنظر فيها كمحلفين .

إنكم وحدكم المقررون فى هذه الاتهامات ، وإننى لاأحب أن تختلفوا بشأنها فى قراركم . إننى أرجو أن تتفقوا سواء أكان قراركم لنا أو علينا ، فلا تدعوا مجالاً للقول بأن المحلفين الهندوكيين جنحوا إلى رأى والمحلفين المسيحين بدا لهم رأى آخر . إننى أوثر أن تكونوا متحدين فى أمر على مبلغ من الخطورة كهذا ، ولتكن نفوسكم منقادة لضمائركم وحسب ، فذلك هو الدستور الأساسى للعقائد جميعاً . عليكم أن تتبعوا الحق وتعملوا بما يمليه الضمير .

إن الاتهام الذى من صلاحيتكم أن تقرروا بشأنه هو مسألة « المحاولة » المنطبقة على المادة ١٣١ (يقرأ المادة) .

رئيس المحكمة : إنكم متهمون بعضويتكم فى مؤامرة تهدف إلى فتنة القوات المحاربة .

محمد على : إننا متهمون بأننا أعضاء فى مؤامرة ، أى متهمون بأننا اتفقنا على ارتكاب فعل إجرامى . وبتتبع هذه المؤامرة تبين أن أحد المؤتمرين فى الواقع عمل كل هذه الأعمال ، وليس المهم أن يكون الفاعل نحن أم غيرنا حتى نؤخذ بجريرته !..
إن الفاعل فى الحقيقة هو مستر رس ألستن (Ross Alston مساعد المدعى العام) إذ يأتى بجاهل من (الله أباد) ينسخ له شيئاً من فتوى العلماء مع أنه يجهل القرآن جهلاً تاماً . إنه لابد من العناية فى تنفيذه فيأتى بجاهل لينسخها ! إن أى مسلم يشعر برهبة تهزه إذ يقدم على نسخ شىء من القرآن خشية الوقوع فى خطأ يعزو به إلى الله مالم ينزله فى القرآن . غير أن هذا الجاهل يقدم على النسخ وينشر ذلك إرضاءً لمستر ألستن فيطبعه فى الله أباد أو فى لاهور ، ويحصل على النوع المطلوب من الأغلفة ، فترسل من عدة مراكز وعلى الخصوص من الله أباد حيث مقر مستر رس ألستن ! وأنتم عليكم أن تنفونى مدى الحياة من أجل هذا !!.

هذا هو الذنب الذى افتُرض أننا فعلناه . إن الله أباد مقر مستر ألستن واثنين من ضباط المباحث الذين شهدوا ضدنا . أفلا يكون ذلك كافياً لأن يتهم مستر رس بأنه هو الذى فعلها مادام مجرد الإقامة فى الله أباد كان كافياً لاتهامنا بإرسالها ؟ !

ألهذا تقررون النفى لى بعيداً عن أهلى ، بعيداً عن بلادى العزيزة على ، بعيداً عن مجال الجهاد فى سبيل الله ، فقط لأنها أرسلت من الله أباد ؟ ! !

أتستبيحون لأنفسكم بناءً على هذا الادعاء إبعادنا مدى الحياة ؟ هذه هى مذكرة الادعاء ، لاشىء فيها غير ذلك ، وإلا لقاله صديقنا (المدعى العام) لقد استغرق أربع ساعات فى مرافعته أمامكم ، وبذلك كسب أجرة يومه ، وإن كان مرتبه يفوق مجموع مرتباتكم (يقاطع) .

ويستأنف محمد على مرافعته :

ياسادة ! أود أن أنشد قصيدة من نظمى ، هو نظم هزيل لكنه لى ، وكما قال تتشستون (Touchstone) : عندما قتل يوليوس قيصر ، وجن جنون الشعب بسحر خطبه أنطونيوس ، تجمع الناس على سنَّا (Sinna) الشاعر يريدون قتله يحسبونه سنا المشترك فى مؤامرة قتل القيصر فصاح :

« كلا كلا ، أنا لست سنا المتآمر ، إنما أنا سنا الشاعر ! » ولكنهم قالوا : « إذن فاقتلوه لشعره الردئ ! ! » .

أيها السادة ، لا تنفونى نفياً مؤبداً لشعرى الردئ ! إننى أخاطب بنى وطنى وإخوانى فى العقيدة وأقول لهم : إننى أذكركم بواجبكم ، أذكركم بإخلاصكم ، أذكركم بالشرف ، وأطلب إليكم أن تكونوا أمناء على العهد الذى قطعتموه على أنفسكم أمام الله والناس (يلقى القصيدة) .

أو ليس لى أن أقول للمحلفين : إذا لم يصدق هؤلاء القوم مع ربهم فاستباحوا مخالفة أمره ، أينتظر منهم بعد ذلك صدق فى ولائهم للملكهم فى جيشه ؟ ! (سكون رهيب فى قاعة المحكمة) . . ربهم الذى وهبهم كل شىء : الحياة ، الشرف ، العقيدة ، الإخلاص نفسه ، حتى الملك ! . . لا ، الله فوق كل شىء ؛ الله فوق

الإخلاص ؛ الله فوق الملك ؛ الله فوق الوطنية ؛ الله فوق بلادى ووالدى ووالدتى وطفلى ! تلك هى عقيدتى ، فاشنقونى إن شئتم ! ولكن اعلموا أنكم بذلك إنما تنتحرون إذ تقتلون أرواحكم ، ولا يغرنكم بعدُ تحرككم وسعيكم ، فستكونون أجساداً تتحرك بلا روح ، وجيفاً تصلح للغربان طعاما .

أيها السادة ، إن الحكومة هى التى تعمد إلى فتنة الجنود عن الصراط السوى ، ونحن إنما نريد إرجاعهم إلى إخلاصهم الفطرى لله . وحيث أن لكل قاعدة شواذ فإن القانون يقول : « إنها لا تبلغ أن تكون جناية — فى حدود مقتضى هذه المادة (٥٠٥) — إذا كان الشخص الذى يصدر أو ينشر أو يبلغ أى بيان أو إشاعة أو تقرير ، لديه أساس معقول يحمله على الاعتقاد بصحة ذلك البيان أو الإشاعة أو التقرير » .

رئيس المحكمة : اقرأ المادة كاملة يا سيد محمد على .

محمد على : سأفعل يا سيدى ، ولن أترك صغيرة ولا كبيرة ، فإن لم يكن للحكومة بدّ من رطلها من اللحم فلتأخذ ما تريد . إن المحكمة فى قضية شايلوك حكمت له باللحم فقط ولم تسمح له بنقطة واحدة يريقها من الدم المسيحى[1] أما أنتم فلكم أن تأخذوا ذلك أيضاً بغير حساب .

إن ذلك الاستثناء فى القاعدة يعمل به حيث يستند البيان إلى أساس معقول يبرر الاعتقاد بصدقه . فإذا أعلنت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أفيكون ذلك من ابتداعى ؟ كلا ! إن ذلك عقيدة كل مسلم ، ولا يمكن أن يكون إعلانها جناية يأخذ بها القانون ، وإن كان يحتمل أن « تفتن » رجلا عن ولائه للملك أو للحكومة ، ذلك الولاء الذى تؤدى طاعته فى بعض الأمور إلى معصية الله .

---

(١) أشارة إلى مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) وتتلخص فى أن تاجراً مسيحياً استدان من شايلوك اليهودى مبلغاً من المال على أن يقتطع اليهودى من صدر التاجر رطلين من اللحم إن عجز عن الوفاء بالدين حين الاستحقاق . وقد عجز التاجر فأصر اليهودى فى المحكمة بكل قسوة على قطع اللحم والتزام ما ورد فى العقد ، وأخيراً كان الحكم السماح له بقطع اللحم على ألا يزيد أو ينقص عن الرطلين ، وألا يريق قطرة واحدة من الدم المسيحى .

أما الجناية الثانية فهى « حمل عشرة أشخاص أو أكثر على اقتراف مثل تلك الجريمة » وعلى ذلك فالمسألة الأولى هى مسألة البيان وصحة مايستند إليه مصدره. بيان من أيها السادة ؟ إنه ليس بيانى . إنه حكم الله . إنه إعلان مؤسس على شريعة القرآن ، ويعلمه كل مسلم يفهم القرآن .

سأريكم أيها السادة ماذا على المرء أن يفعل عندما يتطوع فى الجيش ، وماذا عليه أن يدع (يقرأ قائمة شروط التطوع) . . . لاحظوا أيها السادة هذا السؤال : « هل أنت مستعد لأن تذهب حيثما تؤمر براً أو بحراً ، وألا تسمح لشىء بالتدخل فى واجباتك الدينية ؟ » إلا أننى أيها السادة لاأرى فى القائمة مثل هذه الأسئلة : هل أنت على استعداد لأن تعمل أى عمل يخالف عقيدتك ؟ أو هل تبدى أى اعتراض حين يطلب إليك أن تقترف إثماً من الآثام ؟ أو هل تود أن تذهب إلى جهنم براً أم بحراً ؟ ! . .

لقد كان تساءل المدعى العام فقال : « إذا كان بعض الناس يعتقدون فى تقديم القرابين البشرية ، وطلب طفلك لهذا الغرض فإنك حينئذ تكون أول من يلجأ إلى حماية القانون » إننى على أى حال لا أطلب لنفسى حماية القانون ، وأعتقد مع ذلك أن ليس هناك أية طائفة تطالب الآخرين بتضحية كهذه . إن الطائفة الوحيدة التى تطلب من الناس أن يضحوا بأبنائهم هى جماعة العسكريين ! نعم ، إنهم يطلبون ذلك . إن إلههم مولوخ[1] الاستعمارى الشره يطلب تلك الأضاحى . إن جشعهم إلى المستعمرات يطلب تلك الأضاحى ، يريدونها فى كل مكان : فى عرض البحر ، وفى محيطات الله الواسعة التى على كل سفينة أجنبية تمر فيها بإحدى سفنهم أن تخفض علمها اعترافاً بأن إنجلترا « سيدة البحار » . . . هؤلاء هم الذين يبتغون الضحايا من البشر !

وسألنى القاضى « ما رأيك فى السارق ؟ أتريد تطبيقاً للإسلام أن تقطع يد السارق ؟ ! » وأقول : لو كانت الحكومة إسلامية لطالبتها بذلك . بل لطالبتها

(١) مولوخ (Moloch) إله العمونيين ، وكانوا يقدمون له القرابين البشرية .

برجم الزانى ، وإن كان الزنى لا يعتبر جريمة فى القانون الإنجليزى . إن صفقتى كمسلم مع حكومة إسلامية تختلف عن صفقتى كمسلم مع حكومة غير إسلامية . إنى لا أطالب غير المسلم بسوى السماح لى بحمل معتقداتى الدينية ، والعمل بموجبها دون التعرض لعقوبة ، فإن دينى يفرض تعاليمه علىّ دون غيرى ممن لا يعتنقونه ، وقد فرض على أن أعلن أمر الله الذى يحظر فيه على المسلم الانضمام إلى الجيش البريطانى وقتال المسلمين بغير حق ، وأن من أفظع الخطايا قتل المسلم أخاه بأمر الحكومة غير المسلمة ، فهى الخطيئة التى تعتبر فى منزلة تالية للكفر .

لقد كان آخر ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته عند ما دعا الحجيج فى حجة الوداع وكانوا ١٧٥ ألفاً فى منى أن سأل « أى يوم هذا ؟ » . . .

رئيس المحكمة : (مقاطعاً) إنى أرى أن تكف ! دع عنك شأن النبى !

محمد على : (غاضباً) إنه لا بدّ لى من الاهتمام بشأنه صلى الله عليه وسلم ، وعليك أن تسحب كلمتك .

شوكت على : هذا بهتان وسفاهة ! !

محمد على : عليك أن تسحب قولك ، لا بد أن تستدرك ! إن من واجبى الاهتمام بشأن رسول الله ، وعلىّ أن أقطع عنق من يسيء فى حقه عليه الصلاة والسلام ! !

« يتبع »

معالم رئيسية فى سياسة اقتصادية إسلامية
لمواجهة المشكلات الاقتصادية الحاضرة

للدكتور زكى محمود شبانه

مدرس الاقتصاد الزراعى بجامعة الاسكندرية

(٢)

الناحية الإنتاجية فى السياسة الاقتصادية الإسلامية

يهدف أى نظام اقتصادى كامل نحو تشغيل وتخصيص الموارد الاقتصادية الإنسانية والطبيعية المجتمع فى إنتاج السلع والخدمات الاقتصادية اللازمة لإشباع الرغبات الإنسانية لهذا المجتمع ؛ وذلك باستثمار هذه الموارد فى بناء صناعات مختلفة كصناعة الزراعة أو صناعة البناء أو صناعة الصلب أو غير ذلك . وهنا تظهر المشاكل الاقتصادية العديدة مثل : ماهى السلع التى يجب إنتاجها وكمياتها ، ومقدار ونوع الموارد الاقتصادية التى تخصص لكل صناعة ، وما يجب أن يتخذ من إجراءات لصيانة وتنظيم التنمية الاقتصادية لهذه الموارد ، وغير ذلك من المشاكل التى لا حصر لها فى بنياننا الاقتصادى المعقد . وهذه المشاكل لم تتناولها الأنظمة الاقتصادية المختلفة ، سواء منها الاشتراكى أو الرأسمالى أو الإسلامى ، فى تفصيل بل تركتها للاقتصاديين فى كل أمة وفى كل عصر ؛ فالنظام الاشتراكى الموجه ترك هذه المشاكل لتحلها هيئة تعينها الدولة ، والنظام الرأسمالى الحر أسس بنيانه على أساس أن يترك للموارد الاقتصادية الإنسانية الحرية الكاملة فى الإنتاج ، بالرغم من تداخل وتضارب الرغبات الاقتصادية لهذه الموارد . أما النظام الإسلامى فكان نظاما وسطا ، فلقد بنى أركانه على أساس أن الله تبارك وتعالى قد خلق الموارد الطبيعية للناس جميعاً ، وفى ذلك يقول الله : « هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً[١] » ، ويقول : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها[٢] » ، ويقول : « وسخر لكم مافى السموات

---

(١) البقرة : ٢٩ (٢) هود : ٦١ .

وما فى الأرض جميعاً منه[1] » ، وبذلك وضع أساس حرية الاستثمار فحرّم إقامة الحواجز أمام جميع الأفراد عامة ، فلا جنسية ولا دينية ولا لونية تمنع أحدا من حق الاستفادة بالموارد الطبيعية عامة ؛ فالفرص متكافئة لكل فرد من أفراد الأمة . ولكن الإسلام نظم هذه الاستفادة وهذا الاستثمار فجعل ملكية الموارد الطبيعية وظيفة اجتماعية ، فالله يقول : « وإن تتولَّوْا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ثم وضع التشريع الكافى للمحافظة على الثروة الأهلية الحاضرة والمستقبلة ؛ فليس لمحتجز لورد من الموارد الاقتصادية الحق فى استبقائه ، إن لم يستثمره استثمارا كاملا ، أكثر من ثلاث سنوات . ثم تدخل فى الاستثمار من الناحية الجماعية فأمم ملكية المنافع العامة وجعلها فى يد الدولة ممثلة فى الحكومة ؛ وذلك بأن ترك ملكية الينابيع والأنهار والغابات والقوة المحركة كالبترول والكهرباء ، للأمة جميعاً ممثلة فى أولى الأمر ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » والشركة هنا شركة إباحة لا شركة ملك . أليس فى ذلك تنظيم لإدارة هذه المنافع العامة ؟ تنظيم يبعدها عن الاحتكار ومساوئه . ولقد سجَّل رسول الله صلوات الله عليه وسلامه على التاريخ أحدث الأساليب الاقتصادية فى تشجيع التوسع الاقتصادى ؛ وذلك بتشجيع الاستثمار تشجيعاً كاملا يؤدى إلى الوصول إلى أقصى درجة من الاستفادة للأمة جميعاً بمواردها الطبيعية ، فلقد شرع بحديثه « أن من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنوات » أى أن أحداً لا يستطيع أن يضع يده على الأرض ، دون أن يفلحها ، أكثر من ثلاثة أعوام ، فإذا لم يستغلها فى الزراعة أو العمارة أو يستفيد بها بأى طريق آخر ، فإن هذه الأرض تعامل بعد ثلاثة سنوات معاملة الأرض المهجورة ، وكل من يستصلحها آمن من التعرض للمآخذ القانونية الإسلامية ، أى أنه لا حقّ للحكومة فى تسليمها لسواه . وهنا يظهر الفرق بين التشريع الحالى والسياسة الإنتاجية الإسلامية ؛ فإن التشريع الحالى ينص على أن الأرض تصبح ملكا لواضع اليد خمسة عشر عاماً ، سواء أحياها أو أماتها . وبالإضافة إلى ذلك فإن عمر بن عبد العزيز وضع أسس

(١) الجاثية : ١٢ .

السياسة الإنتاجية الزراعية والمزرعية كاملة لا تختلف فى كثير عن أحدث الأساليب المزرعية الحيازية العصرية ؛ فلقد كتب لأحد ولاته كتابا قال فيه : « انظر ما قبلكم من أرض الصافية فأعطوها بالمزارعة بالنصف ، وإن لم تزرع فأعطوها بالثلث ، فإن لم تزرع فأعطوها حتى تبلغ العشر ، فإن لم يزرعها أحد فامنحها ، فإن لم تزرع فأنفق عليها من بيت المال » .

فالملكية فى النظام الاقتصادى الإسلامى — كما سبق القول — وظيفة اجتماعية لم تشرع إلا للمحافظة على الثروة القومية ولإنتاج السلع والخدمات الاقتصادية اللازمة لإشباع الاحتياجات الإنسانية فى هذا المجتمع الإنسانى ، فلقد جاء رجل إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال له أتيت أرضا قد خربت وعجز أهلها فكريت أنهارا وزرعتها فقال على له : « هنيئاً ، وأنت مصلح غير مفسد ، معمر غير مخرب » .

ومن مواضع الإعجاب فى الاقتصاد الإسلامى أن يفرق هذا النظام بين الإنفاق الإنتاجى والإنفاق الاستهلاكى ، مزكيا الإنفاق الإنتاجى ، وذلك قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، فلقد قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه : « من باع دارا أو عقارا فلم يجعل ثمنها فى مثله كان قمينا (جديرا) ألا يبارك الله له فيه » وقال أيضا : « لا يبارك الله فى ثمن أرض ولا دار لا يجعل فى أرض ولا فى دار » ولقد وضع الإسلام شروطاً وأحكاماً وأركاناً لبعض أنواع الاستثمار التى كانت موجودة فى بنيانه الاقتصادى . ومن المبدع حقا أنه استعمل تعبيرات اقتصادية خاصة لكل نوع من أنواع النشاط الاقتصادى ؛ فالمزارعة : عبارة عن عقد بين مالك الأرض وعامل يعمل فى الأرض ، يشترط فيه على أن العامل يستأجر الأرض ويزرعها ببعض المتحصل من الزروع ، وأن المالك يستأجر العامل على أن يزرع له أرضه ببعض الخارج المتحصل من الأرض . ودليلها من السنة الصحيحة فيما رواه ابن عمر فلقد قال : « عامل النبى صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع » .

أما المساقاة : فهى عقد خدمة أشجار الفاكهة أو زراعة الخضر بين صاحب الحديقة والعامل ، ويشترط فيه على أن العامل يقوم بجميع عمليات خدمة هذا النوع

من الزرع إزاء سهم معلوم من غلتها ، وسمى بالمساقاة لأهمية الرى فى هذا النوع من الاستثمار الزراعى .

أما المضاربة : فهى أن يدفع شخص مالاً لآخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطا والخسارة على صاحب المال فقط . وهنا يظهر تقسيم المجازفة بينهما فالمال من جانب والعمل من جانب آخر ، ولكل من الجانبين نصيب فى الربح . ولقد وضع النظام الإسلامى الشروط والأحكام الخاصة بكل نوع من أنواع هذا الاستثمار وفصله فى المذاهب المختلفة . ولقد حرم هذا النظام الأعمال غير المنتجة ، فحرم الميسر والمضاربات التجارية غير المشروعة كالأسعار المفتعلة والاحتكار بأنواعه المختلفة وأوراق اليانصيب ، وحرم الصفقات الوهمية والاحتيالية والتلاعب فى الأسعار عن طريق الامتناع عن بيع ضرورات الحياة ، وحرم أيضا صناعة الخمر وغيرها من المسكرات والمفترات وتجارتها .

أما عن معاملة عناصر الإنتاج تحت النظام الإسلامى فلقد وضع لذلك أسسا عادلة لاتختلف كثيرا عن أحدث النظريات العصرية السليمة فى الأنظمة الاقتصادية الحديثة . فإيجار الأرض بجعل ثابت نظير زراعتها لم يشجع الإسلام استعماله ، وهذا يتفق مع آراء كثير من الاقتصاديين ، فمعظمهم يرى عدم اللجوء إلى الإيجار المقدر الذى يسبب اتباعه الكثير من المشاكل فى نظامنا الاقتصادى الحالى ، مما يضطر الحكومة إلى التدخل تدخلا جديا فى تحديد الإيجارات أو تكوين لجان إقليمية للنظر فى عدالتها ، ومما جعل بعض الاقتصاديين كالمرحوم أحمد عبد الوهاب وزير المالية المصرية سابقا يقترح جعل إيجار الأرض عينا : أى كذا قنطارا من القطن وكذا إردبا من القمح ، فاتبعت وزارة الأوقاف وبعض المزارع الكبيرة هذه الطريقة قبل الحرب العالمية الثانية فوجدتها صعبة التنفيذ . ويرى الدكتور عبد الرزاق السنهورى فى كتابه عقد الإيجار أنه يفضل وضع حد أدنى للايجار بفرض أسوأ الظروف التى تحيق بالزراعة ، وأن يجعل بجانبه أجرة إضافية تتفق مع أسعار المحاصيل ومقاديرها ، وبذلك يتقاسم المؤجر والمستأجر الربح والخسارة . ويرى الدكتور عبد الحكيم الرفاعى أن المزارعة هى أعدل طريقة لاشتراك المالك والمستأجر فى المخاطر التى تنشأ عن نقص الأثمان أو نقص المحصول . ويرى

الدكتور إبراهيم رشاد والدكتور منير الزلاقى أن أحسن الطرق الحيازية المزرعية هى المزارع التعاونية .

أما عن استغلال الأرض فى التعدين فلقد شجع النظام الاقتصادى الإسلامى التعدين تشجيعا لم يسبقه فيه أى نظام اقتصادى آخر ؛ فلقد جعل للأفراد وللشركات وللهيئات الحق فى استخراج مافى باطن الأرض من معادن ، على أن يكون أربعة أخماس الإنتاج للمستخرج والخمس زكاة إذا كان هذا الركاز (المعدن) مباحا ، لأنه فى كثير من الحالات يجب أن تتدخل الدولة فى المنافع العامة كما سبق القول ، وتضع نظاما خاصا بالتعدين يحافظ على الثروة الأهلية ويراعى الصالح العام للأمة .

أما عن انتقال ملكية الموارد الطبيعية والصناعية ، فإن الملكية تنتقل حسب نظام خاص موضوع له حكمته وله مبرراته ، ولا أريد أن أتدخل فى تفصيل هذه الطرق .

أما عن العمل فلقد وضعت السياسة الاقتصادية الإسلامية أحدث القوانين العمالية قبل أربعة عشر قرنا لحفظت للعامل أجره كاملا ، وحرمت السمسرة بين العمال وأصحاب العمل ، فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطوا للأجير أجره قبل أن يجف عرقه » وقال أيضاً : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » فالأولى خيانة وغدر ، والثانية إهدار للإنسانية ، والثالثة أكل أجر العامل . وحرم سمسرة العمل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إياكم والقسامة . قلنا وما القسامة ؟ قال : الرجل يكون على طائفة من الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا » وهذا الحديث يعتبر تحريما لتأجير الموارد الطبيعية والإنسانية من الباطن . ولهذا الحديث أهمية خاصة ؛ فإن مشكلة السماسرة والوسطاء مشكلة يئن منها نظامنا الاقتصادى الحاضر ، فضلا عن أن للفظ « القسامة » قيمة علمية من ناحية أنه تعبير اقتصادى صحيح . ولقد شجّع النظام الاقتصادى الإسلامى الوعى التشغيلى ، والوعى الإتقانى بين العمال تشجيعا كاملا ، فالله تبارك وتعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وهذا إغراء بديع بالإتقان . والرسول صلوات الله

عليه وسلامه يقول على يد مجهدة من العمل : « تلك يد يحبها الله ورسوله » ويقول : « من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له » ويقول : « إن الله يحب العبد المحترف » ويقول : « ما أكل أحدكم طعاماً خيراً من عمل يده » .

أما عن نظرية اختلاف الأجور التى ذكرها آدم سمث فى ١٧٧٦[1] ونقحها بعده ريكاردو[2] وميلز وغيرهم من اقتصاديى القرن العشرين ، فلقد وضعها القرآن الكريم فى آية واحدة « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ففى هذه الآية الكريمة يقرر النظام الإسلامى أن الأجور تختلف حسب القدرة العلمية والمهارة الفنية . وهذه تعتبر من أحدث النظريات التى توصّل إليها الفكر البشرى .

ولقد اهتم الإسلام بمشكلة التمويل ورأس المال اهتماماً كبيراً ، ولم يختلف كثيرا عن أحدث الأنظمة الاقتصادية العصرية ؛ فرأس المال هو مجموع الجهود المبذولة فى إنتاج سابق والمجمعة فى شكل يسمح باستعمالها فى إنتاج لاحق والمعروضة لمثل هذا الاستعمال ، فالإنسان يدّخر جزءاً من إنتاجه فى شكل معين لاستثمار مايدخره ، والفائدة هى جزاء رأس المال المستثمر أو المقترض ، ويتعين سعرها كما تتعين الأسعار الأخرى بتفاعل العرض والطلب على المال المدخر . والإسلام لم يمنع الانتفاع بالادخار عن طريق وسائل الاستثمار ؛ بل إنه حرّم الكنز وحرم الربا ، ووضع للاستثمار قواعده وشروطه وأحكامه ونظمه ، وجعل التمويل تحت موضوع المضاربة ، وقد درسه جميع الأئمة ووضعوا آراءهم فيه كما سبق القول ، وتحريم الربا كان استنادا للقاعدة العامة بأن الإنسان لا ينال أجرا دون عمل ، وأن النقد هو وسيلة لمبادلة السلع ومخزن للقيمة فقط ، وأن مهمة التمويل للمشاريع الكبيرة هى المشاركة أو المساهمة ، أما تمويل المشاريع الصغيرة والأفراد والتجارة الداخلية والخارجية فهى مهمة حكومية بحتة ، تهيمن عليها الحكومة بوسائلها المختلفة وبسياستها الاقتصادية السليمة . وتاريخيا فالربا استنكره المصلحون من قدماء المصريين واليونانيين وطالب

---

(1) Smith Adam., An Inquiry Into The Nature and Causes of Wealth of Nations; New York, The Modern Library, 1937.

(2) Ricardo, David., Principles of Political Economy and Taxation, Ed. by E. C. Gouner; London, 1891.

كثير من المصلحين القدماء بضرورة إلغائه كسولون وأفلاطون وأرسطو[١]، وحديثا اتفق معظم الاقتصاديين على أن الربا (الفائدة) سبب من أهم أسباب الاضطراب الاقتصادى الراهن الذى يظهر فى صور متعددة كأزمات أو تضخمات إنتاجية أو مالية[٢]، أو ينعكس فى شكل فروق واسعة فى توزيع الدخول . وليس غريبا أن يحرِّم الإسلام الربا فإن نصف العالم اليوم يعيش على نظم اقتصادية خالية من الربا . ولقد كان للنظام الاقتصادى الإسلامى السبق فى تأميم البنوك ، بل فى تأميم الديون المعدومة مما يشجِّع التمويل تشجيعا قوياً ؛ فالحكومة الإسلامية ضامنة لجميع ديون أفراد شعبها ، وهذا ما سنَّه النبى صلى الله عليه وسلم ، فلقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل المتوفى عليه دين فيسأل هل ترك لدينه قضاء، فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه وإلا قال للمسلمين : « صلوا على صاحبكم » وفى هذا المعنى أن المسلمين فى مجموعهم مسئولون عن وفاء دين أخيهم المسلم ، فلما فتح الله عليه الفتوح قام عليه الصلاة والسلام فقال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؛ فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالاً فهو لورثته » وفى هذا تشجيع لا نهاية له للتمويل الفردى والجماعى .

« للبحث بقية »

(1) Roll Eric., A History of Economic Thought; New York, Prentice Hall Inc., 1947. pp. 9 - 28.

(2) Haberler, Gottfried., Prosperity and Depression; Lake Success, N. Y., United Nations, 1946.

صحة أهل الريف

للواء الدكتور أحمد الناقه

المؤمن القوى خير وبركة . وقوته المادية تستند إلى سلامة البدن والعقل والمجتمع . وقوته النفسية تستند إلى الروح الربانية التى تسلكه فى جند الله . ومادة البدن وحده وحش ضار ، والعقل وحده عفريت شرير ، والمجتمع وحده شيطان مارد إلهه هواه . فإذا مستها نفحة من روح الله ، هدأ الوحش ، واهتدى العفريت ، وانقلب الشيطان إنساناً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وإذا مرضت الأبدان ، ضعفت العقول ، ووهن المجتمع ، وصار الناس كغثاء السيل ، لا يقدرون على شىء من رسالة الخير ونصرة الحق . وقد ابتلى الإنسان بأعداء : من الطبيعة والسباع والهوام والحشرات والطفيليات والجراثيم فغلبها إلا قليلا ، ومن العقول فسخرها فى الغى والدمار ، ومن النفوس الأمّارة بالسوء فاستجاب لها ، فضل وما اهتدى .

ومن فضل الله أن جعل النظافة سبيل الصحة ، وجُنّة من المرض . وما جهل الناس معنى الطهارة ، وأهملوا شأن النظافة ، إلا ألمت بهم العلل ، وأحاطت بهم جراثيم المرض من كل جانب : من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فى الأرض والماء ، والهواء والغذاء ، بل وسكنت فى أحشائهم وولغت فى دمائهم .

ولم يحرم على الناس شىء فى الدين ، إلا أريد به الخير لهم ودفع الأذى عنهم ، فالخمر والميسر والميتة والدم ولحم الخنزير والزنا والفاحشة حرمها الله ، وترك للناس أن يفهموا حكمة التحريم على قدر عقولهم . ومنذ أن نهى رسول الله عن قضاء الحاجة فى موارد الماء والطريق والظل ، فهم الناس أنه أمر مستقذر فحسب ، ولم يدركوا أنه مصدر للطفيليات والجراثيم إلا منذ عهد قريب ، حين اهتدى العلم إلى حكمة التحريم وسر النجاسة ، فعرف الناس بعض ما فيها من ضرر يلحق بالفرد وبالجماعة ،

وازداد الذين آمنوا إيمـاناً بالله ورسوله ، وذكرًا للآية الكريمة : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وشاءت رحمة العليم الخبير ألا يحمل عقل الإنسان فوق طاقتة من أسرار الخلق ، لئلا تنوء به فيضل ويطغى ، كما يحترق المصباح الكهربى إذا حمل فوق طاقته من الكهرباء . وحين نشر الله نور حكمته وفتح كنوز رحمته ، إنما أراد للإنسان أن يهتدى على قدر بصيرته ، وأن يتزود بمقدار حاجته « ويبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » .

ومن أقبح العادات وأكبر السيئات التى يقترفها جهال أهل الريف ، الذين يجحدون فضل النظافة ، ولا يعلمون قواعد الصحة ، تلك العادة السيئة التى تدفعهم إلى قضاء الحاجة حيثما اتفق ، فتنتشر وتصيبهم طفيليات الأمراض ؛ وهى دود صغير يأكل أهل القرى أحياء ، من قبل أن يأكلهم الدود أمواتاً « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » .



وأكثر الطفيليات انتشاراً وأشدها ضرراً فى بلاد الريف ذى الرى الدايم والزرع المستمر ، دود البلهارسيا ، وهو يعيش فى دم المريض ، ويضع بويضات مدببة تخترق غشية المثانة والأمعاء ، وتظهر فى البول والبراز ، فإذا تلوث بهذه الفضلات ماء عذب خرج من البويضات أجنة تتكاثر فى بعض القواقع ، ثم تخرج سابحة متربصة بالناس فتنفذ فى الجلد وتستقر فى الدم .

ويليها فى الضراوة دود الانكلستوما ، وهو يعيش فى الأمعاء ينهش أغشيتها بأسنان حداد ، ويجعل من دم المريض طعامه ، وينفث فيه سمومه ، وتخرج بويضاته مع البراز ، فإن وقعت فى أرض رطبة خرج منها أجنة ، تتحول فى بضعة أيام إلى دود صغير جداً ، يخترق جلد الإنسان ، ثم يسرى فى جسمه حتى ينتهى به المطاف فى أمعائه .

وهذا الدود وغيره من الطفيليات يتخذ له من أبدان أهل القرى مستقرا ، ومقاما ، وطعاما ، ومطية إلى خباياه ، حيث يتربص بضحاياه من الغافلين العراة الحفاة .

وقد يحمل المريض فى بدنه مئات من الدود يعبث فى أحشائه ، ويمتص ماء حياته ، ويوهن من أعصابه ويفت فى عضده ، وينكد عيشته ويعذبه عذاباً أليما .

ومتى ضعف البدن عجز الإنسان عن السعى فى طلب الرزق الحسن ، والعمل المنتج فى الزراعة والصناعة والحرف الأخرى ؛ فأصابه الفقر ، ولم يجد ما ينفق ، وعجز كذلك عن حمل السلاح للجهاد فضربت عليه الذلة ، وقصر عقله كذلك عن استيعاب العلم فشقى بالجهالة . وحين يهن الجسم ، ويقصر العقل تضعف النفس كذلك ، فتخور العزيمة ، وتقعد الهمة عن النهوض بتبعات البر والتقوى ، فيعم الشر والمنكر . والأمراض وحاشيتها من فقر وذل وجهل ومنكر ، كلها سر بلاء شديد يحطم الأفراد ، ويفرق الجماعات « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذله ما لهم من الله من عاصم » .

ولا مفر من هذه العلل إلا بعلاج المرضى وتوقى الماء الملوث ، والأرض الرطبة المدنسة ، وشيوع النظافة والتعليم بين الناس .

ومنذ سنوات خمس قامت بعض الهيئات الصحية ، فى بعض القرى المصرية بشىء من الإصلاح الصحى ، فجعلت تعالج المرضى ، وتبيد قواقع البلهارسيا وتحفر الآبار ، وتنشىء المراحيض ؛ ولكن أهل القرى لم يفقهوا حكمة ما يجرى فى قراهم ، فلم يشتركوا فيه بقلوبهم ، ولم ينتفعوا به ؛ ففشلت التجربة ، وذهب الجهد سدى .

وزعم بعض الناس أن الإسلام هو السبب فى نكبة الريف بالأمراض لأنه يأمر بالاستنجاء والوضوء والغسل فى موارد الماء ، ولا ينهى عن قضاء الحاجة فى الخلاء !!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . إن الإسلام برىء مما يزعمون .

حقا لقد جهل أهل الريف أمور دينهم الذى يحض على الطهارة والنظافة فجعلوا من الترع والمصارف خلاء يقضون فيه حاجتهم ، ثم يستنجون ويتوضأون ويغتسلون ويشربون ، مخالفين بذلك نهى الرسول عن هذا المنكر فى قوله « لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يغتسل فيه » وقوله « إياكم والبول فى موارد الماء وقارعة الطريق والظل » وهم إذ يقترفون تلك السيئات ، إنما ينشرون الأمراض ، فى قراهم بين الناس : حين يستقون ، وحين يمشون فى الأرض ، وحين يجتمعون للاستظلال والسمر « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .

وقد حث الإسلام على النظافة والطهارة ، وهى لا تتم إلا بالماء الطهور الذى لا خبث ولا مرض ولا ضرر فيه ؛ وذلك بثًّا للنشاط فى البدن ودفعا للملل وروعة فى المظهر . قال تعالى : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » ، « وثيابك فطهر » « ويحب المتطهرين » وقال الرسول : « تنظفوا بكل ما استطعتم ، فإن الله بنى الإسلام على النظافة » ، « لن يدخل الجنة إلا كل نظيف » ، « النظافة نصف الإيمان » . والنظافة التامة ، ظاهرة فى البدن والثوب والمكان ، وباطنه فى القلب المطهر من الزيغ والشر ، العامر باليقين والخير . والاستجمار والتيمم والتطهر بغير الماء مباح بل واجب عند خشية العدو والمرض والضرر لقوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » . وفى ماء الترع والمصارف تكمن الطفيليات ، وهى عدو ومرض وضرر معا ؛ قلما يفلت من أذاها أحد « يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » .

وأهل الريف الذين يتقلبون فى الطين المدنس بالغائط ، ويسبحون فى الماء الملوث بالبول والغائط ، ويعيشون فى وسط مختلط بفضلات الآدميين فى كل مكان -- هؤلاء لا يستطيعون أن يتطهروا ولو حرصوا ، ومهما اغتسلوا ، بل إنهم ليزدادون نجاسة ومرضا كلما اغتسلوا ، أو ارتادوا مكانا قذرا أو رطبا وهم حفاة الأقدام ، وهم لذلك لا يصح لهم وضوء ولا غسل ولا طهارة ، ولا تقبل منهم صلاة ولا عبادة(١) ما دامت حياتهم كلها دنسا ونجاسة ، أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة « إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

ولن يصلح حال الريف ما لم يهتد أهله بهدى الإسلام الذى يكفل لهم مجتمعا قويا وبيئة نظيفة ويستبدل سيئاتهم حسنات « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

* * *

وفيما يلى بعض ما يعين على الوقاية من أمراض الريف بل ويكفل القضاء عليها :

١ — إرشاد صحى قوى مستنير ، يقوم به دعاة مؤمنون برسالتهم .

٢ — علاج المرضى بقتل أناث الدود لأن بيضها هو أصل الداء .

٣ — الكف عن قضاء الحاجة من بول وغائط فى الترع والمصارف والموارد .

---

(١) هذا لأن الماء المستعمل فى الغسل والوضوء فى هذه الحال غير طاهر « التحرير »

٤ — الكف عن التغوط فى أرض رطبة أو ظليلة .

٥ — البعد عن الماء بضع خطوات عند قضاء الحاجة فى الخلاء .

٦ — إبعاد مجارى فضلات المنازل والمساجد عن الترع والمصارف والموارد .

٧ — منع إقامة المساجد والمصليات على مجارى الماء .

٨ — الكف عن استعمال الماء أو شربه إلا بعد ترشيحه فى أوانى الفخار ، أو تسخينه دقيقتين أو خزنه يومين .

٩ — الكف عن الاستنجاء والوضوء والغسل فى مجارى الماء .

١٠ — الانتعال عند ارتياد الأرض الرطبة أو الظليلة .

١١ — الاستجمار خشية المرض عند الاستنجاء فى الموارد .

١٢ — التيمم خشية المرض عند الوضوء فى الموارد .



١٣ — الحث على حفر الآبار والعيون وصيانتها .

١٤ — إنشاء مراحيض بسيطة ، خاصة وعامة فى القرى .

١٥ — استعمال أكوام التراب والأرض الجافة للتغوط ، ثم طمر الفضلات .

١٦ — تجفيف الترع والمصارف والبرك والمستنقعات كلما أمكن .

١٧ — حراسة مجارى الماء والطرق والأماكن الرطبة والمجتمعات لمنع التلوث .

١٨ — لباس لحماية أرجل وأيدى من يفلحون الأرض .

١٩ — النهى والزجر والعقاب الشديد للمفسدين « ملعون من ضارّ مسلما » .

٢٠ — تكوين جماعة من ذوى الرأى والذكر والحمية تتولى الإشراف على النظافة فى كل قرية .

فإذا فعل أهل الريف ما استطاعوا من ذلك وتابوا وأصلحوا زال عنهم المرض فى مدى عام واحد ، وخرجوا من عامهم هذا وقد كشف الله عنهم الضر ، وأسبغ عليهم ثوب الطهر والنظافة « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، « إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

وفى هذا مجال واسع للجهاد الصادق ، جدير بجهد العاملين المؤمنين ، يعادل كفاح المنكر والبغى والاستعمار ، وربما صح أن يتقدم عليه لأنه إعداد وتمهيد له ، فإنه لا يقدر على الكفاح إلا المؤمن القوى « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وما دام الدود يحتل الأبدان فسيبقى المستعمر يحتل الأوطان : هذا يمتص الدماء وذاك يستغل الأرض والماء والسماء . وإن يسلب المرض قوما القوة والنخوة يعيشوا كالأنعام السائمة الذليلة التى يطيب للمستعمر أن يمتطى متونها ، ويستمرئ ألبانها ولحومها .

وليست هذه هى الحياة : حياة العزة والكرامة والخلافة فى الأرض ، التى جعلها الله ميراثاً للصالحين « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، « ولقد كرمنا بنى آدم » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

حقائق عن الإخوان المسلمين

يجد القارئ فى القسم الإنجليزى من هذا العدد والعددين التاليين النص الإنجليزى لبيان الإخوان المسلمين الذى قدمه رئيس التحرير إلى مؤتمر الثقافة الإسلامية الذى انعقد فى الولايات المتحدة بين ٨ ، ١٩ سبتمبر ١٩٥٣ .

باب الكتب: نقد وتعريف

١ — معجزة القرآن فى وصف الكائنات ، للأستاذ حنفى أحمد ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ بمطبعة لجنة البيان العربى ، فى ٣٩٨ صفحة كـ .

تناول المفسرون والعلماء القرآن من نواح مختلفة ، واهتموا ببيان ما جاء به من ضروب العلوم والمعارف اهتماماً معدوم النظير ، ومع هذا فلم تظفر الناحية العلمية البحتة منه حتى الآن بالعناية التى هى حريّة بها .

وهذا الكتاب الذى يسعدنا التعريف بالجزء الأول الذى ظهر منه ، يتناول هذه الناحية فى عرض منظم ودقة علمية ننتظرها من مؤلفه ، فهو من كبار العلماء وكان عميد مفتشى العلوم بوزارة المعارف ، وانقطع سنوات طويلة لدراسة القضايا الكونية والعلمية فى القرآن والمقابلة بينها وبين قضايا العلم الحديث .

ونحب أن نقول من أول الأمر بأن القرآن ليس كتاب « علم » بالمعنى المعروف ، وإنما هو كتاب هدى وعظة وذكرى وتشريع ، وإن كان قد دعا إلى العقائد الدينية الحقة من باب العلم أيضاً ؛ وذلك حين دعانا إلى التفكر فى السموات والأرض وما بينهما وفى أنفسنا وكل ما يحيط بنا لنعرف من هذا كله أن لهذا الكون خالقا هو الله الأحد الذى لا رب سواه .

وهذا الجزء الأول يقوم على مقدمة وبابين ، وتحت كل باب فصول ومباحث . والمقدمة هى بيان لموضوع الكتاب كله ، والغرض منه ، والمنهج الذى سار عليه الأستاذ الكبير فى كتابته وبحثه ، وبيان لعدم دراسة القرآن حتى اليوم دراسة علمية جادة ، ثم بيان للمراجع التى استند إليها من كتب المفسرين ومَن إليهم .

فمن موضوع الكتاب ، نجده يذكر « أنه يبحث فى تصوير القرآن للكائنات تصويراً دقيقاً يكشف عن دقيق معانيه ، ويبين مافيه من آيات الإعجاز الدالة على صدق وحيه وسموّ رسالته » (ص ١) . ومعنى هذا ، « أن القرآن قد أتى بوصف شامل عن العالم المادى فى صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الصحيح ، الذى لم يكن

أحد يعلمه ولا كان فى مكنة أحد من الناس أن يأتى بمثله قبل ظهور العلم الحديث ، وإن العلم الحديث الذى ظهر بعد القرآن بقرون كثيرة قد أيد ما احتواه القرآن من العلم الدقيق بالكائنات ، (ص ٣٩٧) . وهذا يؤكد أن القرآن وحى من الله تعالى الذى يعلم السر فى السماء والأرض ، وليس من قول بشر .

وعن منهاجه ، يجب علينا أن نقرر أنه منهاج علمى صحيح ، ولا عجب ! فمؤلفه الأستاذ الكبير ممن نالوا أكبر الدرجات العلمية فى العلوم من مصر وأوربا . وهذا المنهج يقوم على حصر الآيات الكونية فى الكتاب الكريم كلها ، ثم ترتيبها وتقسيمها موضوعياً ، ثم بيان ما يؤخذ منها من قضايا علمية ، ثم المقابلة أخيراً بين هذه القضايا القرآنية العلمية وبين قضايا العلم الحديث (انظر صفحات ٥ — ٦ ، ٣٣ ، ٣٩٣) .

ولا نستطيع بطبيعة الحال ، ونطاق هذا الباب جد محدود ، أن نسير مع المؤلف العالم الفاضل فى جميع مراحل كتابه القيم ، ومع هذا نذكر هذا المثال بياناً للمنهج وتطبيقاً له فيما يختص بالمادة التى خلق منها العالم المادى . كانت السماء قبل خلقها مثل الدخان كما يؤخذ من القرآن ، « وهذا التخصيص فى التشبيه بالدخان إشارة قوية إلى أن المادة التى خلقت منها السماء كانت مادة مفككة مظلمة خفيفة ، ومنتشرة فى الفضاء كالغاز المنتشر ، وساخنة إلى حدٍ مّا ، ومكونة من دقائق أنواع المادة الثلاثة (ص ١٨٠) . ويقول العلم (فى فقرة ٢٨ بالمقدمة) ، « نشأ العالم المادى من غاز كونى أول ، شديد التخلخل وساخن إلى حدٍ مّا ، وكان يملأ الفضاء بانتظام ، ومكونا من دقائق أنواع المواد المختلفة » ، (ص ١٩٠) ، وليس بعد هذا دليل على اتفاق العلم مع القرآن فى هذه الناحية ، كما فى نواح كثيرة أخرى .

وبعد ! فهذا كتاب قيم ، صدر عن مؤلف بحاثة مالك لموضوعه ومستعد كل الاستعداد له ، وهو جد مفيد لمن يقرؤه بإمعان وبخاصة طلاب الأزهر فى كلية أصول الدين وأمثالهم ، فحرى بالأزهر الرسمى أن يحتفل بالكتاب وأن يفرض قراءته على أولئك الطلاب .

على أن العلم لم يقل كلمته الأخيرة فى كل شىء ، فلا نحب أن نعمل دائماً على التوفيق بين القرآن وما ظهر من البحوث العلمية ، فالعلم قد ينقض اليوم ما قرره

بالأمس ، ولا ينبغى لنا أن نحاول جعل القرآن مشتملا على كل ما قدمته لنا العلوم حتى اليوم ، كما فعل المغفور له الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره الكبير للقرآن ، بل علينا أن نسير بحذر فى هذا السبيل ، فلا نقبل من القضايا العلمية إلا مالا سبيل إلى نقضه ، كما فعل الأستاذ الكبير صاحب الكتاب .

وأخيراً ، كنا نود أن يعنى الأستاذ الفاضل ببيان المراجع العلمية للكتاب ، سواء فى الكتب الإسلامية أم فى الكتب العلمية التى أخذ عنها ؛ فإنه لا يكفى أن يقول مثلا إن الغزالى ذكر هذا ويطيل النقل عنه بلا بيان المرجع ، كما لا يكفى أن يقول إن العالم الغربى فلان ذكر كذا وكذا بلا بيان المرجع أيضاً . والله يوفقنا جميعاً للخير ، ويهدينا سواء السبيل .

* * *

٢ — شبهات حول الإسلام ، للأستاذ محمد قطب .
نشر مكتبة وهبة ، ٢٠٦ صفحة م .

هذه بحوث قيمة عميقة على وجازتها ، يقدمها الكاتب المسلم الصادق إلى « طائفة من الشباب المخلص المفكر المستنير ، شباب صادق الرغبة فى الوصول إلى الحقيقة ولكن هذه الشبهات تعترض طريقه فلا يعلم لها رداً ، لأن الاستعمار الماكر قد حجب عن عينه النور وتركه حائراً فى الظلمات ، ولأن عبيد الاستعمار وشياطين الشيوعية يمعنون فى تضليله خشية أن يهتدى إلى الطريق الصحيح ، طريق الحرية والكرامة والاستعلاء » . (مقدمة الكتاب ص ٧) .

وقد بدأ صديقنا الأستاذ الفاضل بحثه ببيان فساد ما يزعمه كثير من الغربيين ، من أن الدين قد استنفد أغراضه ، فعليه أن يخلى الطريق للعلم ! ذلك ، بأن هذا الزعم إن صدق على غير الإسلام ، فلن يصدق بحال مّا على الإسلام الذى يهدف إلى « التحرر من أن كل سلطان على الأرض يقيد انطلاق البشرية أو يقعد بها عن التقدم الدائم فى سبيل الخير » (ص ١٢) . ولهذا فالعالم محتاج كل الحاجة اليوم إلى الإسلام كما كان محتاجاً إليه منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، ليعيد الاستقرار إلى

الإنسان الذى تمزقه عقائد الغرب الفاسدة ، ولينقذ البشرية من الطغاة والجبارين (ص ١٦ وما بعدها) .

وتناول بعد ذلك ما يؤخذ على الإسلام ظلما من إقراره بالرق ، فيعرض فى سرعة المسألة عند الرومان وغيرهم فى العالم القديم ، حين كان الرقيق يعتبر « شيئاً » من الأشياء لا إنساناً له حقوقه وكرامته (٢٩ — ٢٠) ، ثم يقابل ذلك بما كان فى الإسلام من عناية بالرقيق عناية تساويه بالحر فى الحقوق العامة (ص ٣٠ — ٣٥) ولم ينس أن يبين الأسباب العالمية القاهرة حين ظهر الإسلام ، هذه الأسباب التى لم تجعل الإسلام يلغى الاسترقاق من حيث المبدأ (ص ٣٦ — ٤٣) .

وبعد مقارنة بين ما يسمى الإقطاع فى العصر الوسيط وبين الإسلام الذى لم يعترف قط بأساس من الأسس التى كان يقوم عليها الإقطاع ، يصل إلى أن هذا الدين الخالد لا يسمح بقيام الإقطاع ، بل ولا يسكت عن الوسائل التى تؤدى إليه (ص ٥٦ وما بعدها) . ثم عالج بنفس المنهج مسألة الرأسمالية ، ووصل إلى نفس النتيجة التى يفخر بها الإسلام ؛ لأن الرأسمالية لا يمكن أن تقوم وتأخذ صورتها الواسعة التى هى عليها اليوم بغير الربا والاحتكار ، والإسلام قد حرمهما كليهما قبل نشوء الرأسمالية بأكثر من ألف عام ! » . (ص ٦٤) .

وهكذا ، نرى الداعية المسلم الصادق الإيمان يعالج مسائل الملكية الفردية والطبقات ، والمرأة وحقوقها وواجباتها ، ونظام العقوبات فى الإسلام ، وحرية الفكر التى تثار من أجلها الشبهات حول الإسلام ، مع أنه الدين الذى قررها بنص كتاب الله نفسه وحديث رسوله ، وموقف الإسلام من الشيوعية ، ولماذا لا نرضاها نظاما لنا ما دمنا مسلمين مؤمنين بالله وشريعته التى رضيها لنا وللعالم كله .

وفى بحث أخير ، نراه يبين فى حرارة قلب وصدق إيمان ، أنه لا خلاص لنا مما نحن فيه إلا بالعودة للدين ، وأن السبيل أمنا واضح لمن أراد الوصول إلى حياة العز والكرامة ، وهذا السبيل هو الإيمان الذى فعل المعجزات فى فجر الإسلام وشبابه !

وللقارئ الذى يريد الوصول إلى الحق فى ذاته ، أن يغتبط بهذا الكتاب ، وهو حرى أن يفيد منه فائدة كبرى فى كثير من النواحى والدراسات الإسلامية .

فى أفق العالم الإسلامى

فلسطين

تجرى دولة العدوان الصهيونى المحتلة للوطن الإسلامى فى فلسطين على سياسة إيجابية عظيمة النشاط ، هائلة الخطر ، ترمى بها إلى تدعيم عدوانها الغاشم وتثبيت اغتصابها للمقدسات الإسلامية ، وتمهد بها السبيل إلى التوسع على حساب المناطق المجاورة تنفيذاً لخططهم المنظمة المرسومة منذ أمد بعيد ، وتنفيساً لضغط الحاجة وضيق موارد البلاد المحتلة عن كفاية حشد الجنود وتعبئة الأسلحة .

وبمراقبة حوادث الشهر الماضى وبمقارنتها بما سبقها فى الشهور المنصرمة قبله ، يتضح جلياً أن هذه الحوادث ليست طارئة ولا مرتجلة ، إنما هى حلقات متماسكة فى سلسلة من الخطط المرسومة والخطوات المنظمة ، وهى استمرار لمحاولات الصهيونيين إلى الوصول إلى تحقيق غاياتهم العدوانية وإرضاء مطامعهم السافرة .



ولئن كان مظهر هذه الخطط والمحاولات فى الشهور القريبة الماضية اعتداءات مسلحة على العرب العزل ، ومناورات سياسية فى الهيئات الدولية ؛ فإن حوادث الحدود وقتل الأبرياء من المدنيين مازالت مستمرة بشكل رتيب . فى حين نشطت الدسائس السياسية واتخذت شكلا جديداً شديداً .

والحقيقة التى تكمن وراء هذه الأحداث هى مؤامرة يهودية — استعمارية ، يحوكها اليهود وتنفذها الدول الكبرى ، تهدف إلى تأمين مستقبل الدولة المصطنعة ، وتصفية القضية الفلسطينية وإسدال الستار على مأساة الوطن المغصوب والأمة المشردة ، والمقدسات المنتهكة .

فقد وجهت الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة إلى الحكومة الأردنية مذكرة تطلب إليها الدخول مع اليهود فى مباحثات مباشرة لبحث حوادث الحدود وتعديل اتفاقية الهدنة . وتلا ذلك الطلب حملة هائلة من الضغط قامت بها حكومتا أمريكا وبريطانيا على حكومة الأردن لإرغامها على عقد هذه المباحثات تمهيداً لعقد الصلح الدائم مع اللصوص المعتدين وتصفية القضية الفلسطينية ، آملين بتوجيه هذه الحملة إلى حكومة الأردن تفكيك الوحدة العربية وسلخ الأردن عن أخواتها الدول العربية ، والظفر منها باعتراف رسمى بدولة العدوان يتيح لها فرصة الوصول إلى حل جزئى لمشكلة الصلح مع هذه الدول .

وكما كان رد الدول العربية على مذبحة قبية المعروفة هو اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لاتخاذ مقررات حاسمة ؛ فقد كان الرد هنا أيضاً اجتماع هذه اللجنة فى بيروت فى دورة غير عادية بناء على دعوة الأردن لبحث موقفها تجاه هذه الحملة السافرة الخطيرة إلى الصلح ، وتجاه مشروعات جونستون مبعوث أيزنهاور الذى يهدف إلى هذه الغاية .

والذى ينبغى أن يتدبره كل مسلم من وراء هذه الأحداث والدسائس والمؤامرات حقائق نجلوها بكل وضوح :

إن اليهود فى هذه الآونة — وبعد أن احتلوا أربعة أخماس فلسطين ، وطردوا معظم

سكانها ، واحتلوا مساكنهم وديارهم ، واستعبدوا الباقين منهم وأذلوهم — أخذوا الآن يستعجلون السير فى أهدافهم وتحقيق مطامعهم .

ومعروف أن هدفهم الأكبر هو الاستيلاء على « أرض اسرائيل » من النيل إلى الفرات ، كما هو منقوش على مدخل مجلسهم النيابى .

إلا أنهم يستعجلون الآن الخطوة التالية التى تمهد لهم هذا الهدف الأكبر . وخطوتهم العاجلة التالية تتلخص فى ثلاث نقط :

القدس — بقية فلسطين والضفة الشرقية للأردن — معركة المياه .

فالقدس هدف هام ومطمع أساسى لليهود لن يتخلوا عنه أو يتساهلوا فيه ، وهم يعلنون ذلك فى كل مناسبة ، ومن ذلك كلمة بن جوريون رئيس وزرائهم : لامعنى لإسرائيل بدون القدس ولامعنى للقدس بدون الهيكل (المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة) . وفى ذلك يقول منشور خطير أصدرته منظمة الشباب الصهيوني فى نيويورك : « مادام اليهود ممنوعين من الصلاة على الحائط الغربى (وهو البراق الشريف الملاصق للمسجد الأقصى المبارك) ومن زيارة قبر راحيل وكهوف الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب فى حبرون (الخليل) فإن الدولة اليهودية ليست إلا سبة وهزؤاً وسخرية ، إذ لا يكاد يوجد الآن واحد من الأماكن التاريخية المقدسة التى عاصرت تاريخنا القديم ضمن حدود دولة اسرائيل » .

وهم يريدون أيضا ، وفى الحال ، ضم الجزء الباقى من فلسطين وشرقى الأردن إلى دولتهم وفى هذا يقول المنشور المذكور : « إن نظرة إلى خريطة دولة اسرائيل تدل على أن قيامها كدولة يهودية ماهو إلا وهم وأنها عاجزة كسيحة لتشويه حدودها وفصل أربعة أخماس إقليمها الأصلى عنها . . وليس سراً أن المشاكل الاقتصادية والسياسية والدفاعية التى تواجه اسرائيل إنما هى نتيجة لعجزنا عن إقامة سيادة يهودية على كل (أرض اسرائيل) على ضفتى الأردن » . وجاء فى المنشور أيضاً أن رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى قال : إن حدود اسرائيل الحالية سيئة ، وتخطيطها غير معقول ولن تدوم .

ويتصل بهذا الموضوع مايسمى معركة المياه ، فاليهود يطمعون فى كل مناطق المياه المحيطة بفلسطين ، لأن الماء ضرورة ملحة لحياتهم وإنتاجهم ، لازمة لتنفيذ خطة التوسع ، ولذلك فهم يريدون هذه المياه من منابعها ليتصرفوا بها كما يشاءون ويحرموا أعداءهم منها .

يقول المنشور المشار إليه آنفاً : « لاسلام فى إسرائيل اليوم ، ولن يكون فيها سلام حتى تصبح حدود إسرائيل ممكنة الحماية ، وحتى يصبح نهر الأردن فى أيدينا لنتمكن الاستفادة منه فى رى الأراضى الجافة وفى كهربة المشروعات الصناعية » .

لقد ابتدأ هذا المنشور الذى يعتبر وثيقة هامة خطيرة بقوله :

« إن أرض إسرائيل المقسمة المجزأة ، مجردة من نهر الأردن ، ومن سهول شرق الأردن الخصبة ، ومن القدس التاريخية ماهى إلاسخرية واغتصاب للمثل المقدسة ولمبادىء الشعب اليهودى » .

ثم انتهى بإجمال الهدف وتحديده ؛ فقال :

« تلك هى مهمتنا العاجلة :

« إعادة توحيد القدس ، القديمة والجديدة ، وإزالة أضحوكة الدعاية المسماة بالمملكة الأردنية الهاشمية ، وإعادة إنشاء حكم يهودى على كل أرض إسرائيل على ضفتى الأردن . أيها اليهود :

لاتنخدعوا . إن الصدقات والتبرعات لن تحل عللنا الاقتصادية . بل إن (أرض اسرائيل) بحدودها التاريخية الطبيعية هى الحل الدائم الوحيد » .

* * *

هذه حقائق عن فلسطين نضعها أمام الرأى العام الإسلامى ليفهم منها ماوراء الحوادث الجارية من أخطار تهدد كيان الأمة الإسلامية ، ومن مؤامرات مبيتة لها بليل ؛ ليتدبرها كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

[انظر فى العدد التالى التعليق على حلف تركيا — باكستان]

أخبار متفرقة

* كتبت صحيفة « نيويورك تايمز » تقول إن مجموع ماقدمته الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل من هبات وقروض ومعونة فنية — منذ قيامها — قد بلغ ٣٤٨ مليونا من الدولارات .

* أعلنت شركة أرامكو الأمريكية أن إنتاج الزيت الخام فى آبار المملكة العربية السعودية خلال فبراير الماضي بلغ حوالى ٢٦,٥ مليونا من البراميل . كما أعلن أن مهندسى الشركة قد اكتشفوا حقولا جديدة من الزيت ينتظر أن تغل ٢٨ ألف مليون برميل .

* تقول صحف باكستان إنه قد ظهر أن الأسلحة التى منحتها أمريكا لباكستان ، تنفيذاً لبرنامج المعونة العسكرية ، قد سبق استعمالها فى تركيا !

* اشترطت أمريكا وبريطانيا لاعترافهما بالوضع الجديد فى سوريا أن تلتزم الحكومة السورية القائمة بما سبق أن تورط فيه الشيشكلى من اتفاقات معهما . ولكن الحكومة السورية امتنعت عن تقييد البلاد بهذه المعاهدات .

* نفذت فرنسا حكم الإعدام رميا بالرصاص فى عدد كبير من المجاهدين الفرنسين والمراكشيين بتهمة اغتيالهم بعض الخونة الموالين لفرنسا . . وقد سعت الجامعة العربية لدى هيئة الأمم لتتوسط لمنع تنفيذ الإعدام . . ولكن هيئة الأمم لم تقم بأى مسعى .

* ورد بإحصائية أذاعتها هيئة الأمم المتحدة أن مجلس الأمن عقد خلال عام ١٩٥٣ اثنين وأربعين اجتماعا ، اختصت أربعة وعشرون منها لنظرشكاوى سوريا والأردن ضد إسرائيل ، وهكذا نرى أن منطقة الشرق الأوسط هى أكثر المناطق فى العالم اضطرابا وبعداً عن الاستقرار . والفضل لدول العالم « الحر » التى خلقت اسرائيل من العدم ، وأقامتها على أشلاء وجثث أهل فلسطين الأصليين .

* افتتح الكونجرس الأمريكى دورته السنوية بالقيام بطقوس الصلاة . . كما ورد نبأ من وشنطن يفيد أن الحكومة الأمريكية ستصدر مجوعة طوابع جديدة تحمل عبارة دينية نصها : « إننا نضع ثقتنا فى الله » وسيذاع يوم بدء بيع هذه الطوابع بالتلفزيون احتفال يحضره الرئيس إيزناور ونائبه رتشارد تكسون والدكتور روس السكرتير العام للكنائس والكاردينال سبلمان رئيس أساقفة نيويورك والدكتور نورمان ساليت رئيس مجلس الكنائس اليهودية !!

---

* طلب إلينا الأخوة عمال دار الكتاب العربى أن ننشر تهنئتهم لزميليهم الأخوين : حسن محمد حسنين الحريرى ، ومحمد شحاتة بمناسبة الإفراج عنهما . ونحن نسجل هذه العاطفة الكريمة تقديراً لها ، داعين الله أن يبارك هذه المعانى الجميلة فى النفوس .

genealogy. That criterion of judgment was made relational to the fear of God and to good deeds in this world. These pertain to the individual and are completely divested from color or race. God says:

> *"O Mankind! Lo! We have creared you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo! the noblest of you, in the sight of Allah is the best in conduct. Lo! Allah is knawer, Aware."* XLIX/13.

Heterogeneous races, colors and languages have lived in peace for many centuries in the Islamic homeland, while other human societies are still suffering from an ugly racial intolerance. The problem of the colored communities in South Africa and partly in the United States is still a glaring affront to human conscience: years ago Nazi philosophy had been based upon the racial superiority of Aryans; today Israel exists upon the myth of God's chosen people!

And lastly, the birth of Islam represented a revolution against class distinctions, as well as against tyrannical rulers: for it divested the ruling classes of all privileges and personal powers. Divine Law became the source of all legislation, while the selection of those in charge of implementing that law was vested entirely in the people.

It is necessary to dwell further on the profound implications of this unique system in guaranteeing right and equality for all.

In the first place, by depriving human beings of the right to lay down basic legislation and in recognizing God the Almighty as the sole legislator, no human being, or a group or a class is thereby afforded an opportunity to rule arbitrarily over others.

Sovereignty is recognized in the supreme being, the God of all: human beings are merely assigned implementation and execution of divine law. Consequently, legislation would be free of discrimination; no one would feel that in submitting to the law he is submitting to the will of any other human. All are equal before God!

In the second place, the administrator of this legislation derives his authority from the people who choose him; obedience is not to his person but to the divine law with the implemention of which he is entrusted. His right to obedience is forfeited if he oversteps his jurisdiction.

Thus, the Islamic system stands unique in realizing absolute equality and justice, and in destroying all forms of individual class or state tyranny.

(to be continued),

Religious fanaticism and intolerance gave way to absolute liberality and tolerance; any, the freedom of belief and of worship became a duty imposed upon the Muslim towards believers in other revealed religions in the Islamic homeland. When the duty of jihad was ordained for the first time in Islam the Quran expressed it in the following manner:

> *"Sanction is given unto those who fight because they heve been wronged, and Allah is indeed Able to give them victory. Those who have been driven from their homes unjustly only because they said: Our Lord is Allah, for had it not been for Allah's repelling some men by means of others, cloisters and churches and oratories and mosques, wherein the name of Allah is oft mentioned would assuredly have been pulled down."-XXII/39-40*

The "Sawâmi" (monasteries) are the worship centers of the priests, the "Biya" are the churches of Christians, "al-Salawât" are the synagogues of the Jews and the « Masajid » are the mosques of Muslims. The verse gives precedence to the "Sawâmi", the "biya" and to the « Salawât » over the mosques in order to underline their inviolability and the duty of safeguarding them against any manner of encroachment or molestation.

Indeed, the tolerance went so far as to accord protection even to the infidel who does not believe in any divine religion at all, provided he refrains from molesting the Muslims in their faith and from enticing them away from their religion. The Quran declares:

> *"And if anyone of the idolaters seeks they protection (O Mohammad), then protect him so that he may hear the word of Allah, and afterword convey him to his place of safety. That is because they are a folk who know not." IX/5.*

This is the height of tolerance to which mankind still aspires to attain today in many countries of the world. Suffice it here to mention that there is no room in the Communist domain for those who do not subscribe to the materialistic interpretation of history, or to the teachings of Karl Marx and Lenin.

Furthermore, Islam represented a revolution against racial intolerance: it emphasized the ethnological unity and equality of all races, thus destroying the heinous monstrolity of racial discrimination. It ordained one immutable standard of virtue and excelsence, having nothing to do with the color of the skin, birthplace or family

on this earth; it means also the deliverance of human kind from enslavement to superstition, fear, servility and all the other evils which impede human attributes.

* * *

(1) The birth of Islam was in reality a strong declaration of the birth of higher humanity. For Islam is in essence a great liberation movement encompassing the manifold aspects of human life, emanating from the conscience of the individual and oriented towards the life of society. It was a revolution which destroyed in its march all the spiritual, intellectual and social chains which had encumbered human life, and declared - thirteen centuries ago - the full human rights.

The advent of Islam heralded a revolution in the realm of belief; it emancipated the human conscience from superstition and fancy: it established the absolute transcendence of the divine essence beyond the politheistic and anthropomorphic aberrations; it formed a direct relationship between God and his subjects whithout any intermediary.

The absolute transcendence of God and the direct link between God and subject are the crossroads between order and chaos in the realm of belief, as well as between freedom and slavery. This is on inconsiderable achievement if we recall the sufferings of mankind as a result of the power of clerical intermediaries, the persecution of scientists and free thinkers in the Middle Ages, and if we recall the revolutions which broke out in Europe to destroy the hegemony of those claiming to be the vicegerents of God on earth.

As a corollary to this basic approach, freedom of thought had been an indigenous attribute of the Islamic creed, because Islam does not recognize the existence of a clerical heirarchy or group in the sense understood in Europe, or in India and in the other idol worshipping countries.

The birth of Islam constituted a revotution in another facet of belief: it was the revolution against religious intolerance since its declaration of the freedom of belief and of worship in their fullest manifestations.

Quran says, "*There is no compulsion in religion.*" 1/256 and

> "*And if thy Lord willed, all who are in the earth would have believed together. Wouldst thou (Mohammad) compel men until they are believers?*" *X/99*

Facts About

THE MUSLIM BROTHERHOOD(*)

(1)

The Muslim Brotherhood are not seeking to innovate a novel orientation and outlook on life; they are merely endeavouring to resuscitate the ideology brought forth by their prophet Muhammad upon whom be peace, more than thirteen centuries ago, embodied in the Islamic doctrines and beliefs.

They do not subject those who enroll in their movements to theological theories and complications, nor to dialectical and philosophical whirlpools. They merely give them practical training in the virtues of Islam, and their application to their private as well as to their public lives. Their primary aim is to make the Muslim brother a living symbol of Islam, as it had been propagated by the prophet and cleansed of the accretions and abberrations alien to Islam's liberal and forthright simplicity.

They do not gloss over Islam's general precepts pertaining to the social order, the principles of government and international relations. They concentrate their attention first and foremost, however, upon the moulding of the individual Muslim with a view to the adoption of the Quran as his constitutional guide in his personal, family and social life. He would thus strive to fulfill the Islamic life as it is comprehended by his conscience, because such a life will have become an integral part of his self and its virtues the standards of his daily living. This is the path charted by the first advocate of Islam Muhammad upon whom be peace.

By stating the aim of the Muslim Brotherhood to be the moulding of the Muslim brethren as a living symbol of Islam, we mean and aspire to elevate the human spirit to its highest levels of excellence. For the triumph of the Islamic concept in man represents the triumph of the spirit over the shackles of matter, the darkness of sensual desires and the degradation of animal instincts. It means the victory of good over evil and of love and peace

(*) Submitted by The Editor to the Colloquium on Islamic Culture held in the United States between 8 - 19. September, 1953.

living being moving inside, the vital spirit within yourself, that lives with you in intimate union, and leaves with you alone at the pangs of death ...... when your body sticks to earth and sends you off. Have you ever thought that your dear spirit needs its food and seeks its cure? Yes, needs it more than does your clay, since it is invisible that being its difficulty and since it is eternal, that being its importance and sanctity. God says:

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

"And take a provision with you, but the best of provisions is right conduct. So, fear me, O ye, who are wise".

While the "Earth" is so cruel that it never leaves your body which it has fed, and robs you of it to swallow its own product, you will find the "Heaven" waiting for your spirit to reward it according to its weight. That is why, our Prophet, peace be on him, frowned when he saw some followers laughing at Abdullah ibn Masud who used to swing when he walked because of his thin legs and very small feet: and said, "Do you laugh at Abdullah? Verily on the last day, his foot will in God's balance be more weighty than the mountain of Ohud" Look, how spirit weighs when it is ripe and high! And yet he who embarks rashly into spiritual life ignoring his material duties necessitated by the life on earth is definitely on the wrong path. Some followers said to the Prophet once that so and so Prays through the night and fasts throughout the day. The Prophet asked them, "Who feeds him?" They replied, "All of us". He said, peace be on him; "all of you are better than him".

(to be continued)

"O my Lord, if I worship Thee from fear of Hell, burn me in Hell; and I if I worship Thee from hope of Paradise, exclude me thence, But if I worship Thee for thine own sake, then withhold not from me thine Eternal Beauty!"

Rabiàa Al-Adawiya
(a prayer of hers.)

WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 4 —

God has called true believers "men" for they are complete. With just a single part, whether with clay or with spirit, one cannot be "a man". With "clay" alone, he is an animal, and with "spirit" alone, being a disembodied existence, he is but a half-man, and in both cases he is oppressing his ownself by cruelly neglecting the demands of one of his own two parts:

That is why God says:

« وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »

"To us they did no harm, but they harmed their ownselves".

And that is why our Prophet, (may peace be on him) said:

لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ

"No monasticism in Islam".

That again will help you to discover the real disease behind to-day's sufferings. The painful moments of an agitated world may sound an anachronism in the scientifically advanced XXth century. Yet, despite the wonderful progress of man in all spheres of material life, the whole social order is seething with discontent. It is the absence of pure spirit that turned this advancement to a curse for humanity, and was and still is the mainspring of evil, terrible, menacing and well-armed evil, branching out in social, political and economic field, evil dark and darkening since it is deprived of the true light of high ideals and clear hearts.

Here is the Knot

Yes, here is the knot. In this very critical place in the individual, in myself and in yourself. How, then, to be just to both of your own parts? In short, how to be "a man"? When you are hungry, you never forget to eat. When you are sick, you never forget to get yourself cured. You are always serious when your clay make a demand. Have you ever thought of that other part, the

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات هذا العـــدد

مطابع دار الكتاب العربي بمصر